وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة زيان عاشور-الجلفة
كلية العلوم الانسانية والاجتماعية
قسم التاريخ وعلم الآثار

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في علم الآثار
تخصص: آثـــار إسلامية

العمارة الدينية في وادي ميزاب
المسجد العتيق بغرداية أنموذجا
دراسة أثرية معمارية

إعداد الطالبة :
جميلة معيزات

إشراف الأستاذ :
د. عبد العزيز حسونة

السنة الجامعية
2024-2023 م
1446/1445 هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

الحمد لله حبا وشكراً وامتنانا على البدء والختام

ها أنا اتوج اليوم باللحظات الأخيرة في ذلك الطريق الذي كان يحمل في باطنه العثرات،

لم تكن الرحلة قصيرة ولا الطريق محفوفا بالتسهيلات، ورغما عني ظلت قدمي تخطو بكل صبر وطموح وعزيمة وتفاؤل وحسن ظن بالله لكنني فعلتها

فالحمد لله الذي يسر البدايات وبلغنا النهايات

إهداء

اهدي هذا النجاح بكل حب الى نفسي العظيمة الطموحة التي تحملت كل العثرات رغم الصعوبات، ابتدت بطموح وانتهت بنجاح.

إلى من احمل اسمه بكل عز وافتخار إلى عمودي الفقري، وإلى التي كانت النور في عتمتي إلى التي كان دعاؤها سر نجاحي إلى المرأة التي صنعت مني فتاة طموحة تعشق التحدي والصعوبات قدوتي الأولى،

إلى من عاهدتهم بهذا النجاح

ها أنا اتمتت وعدي واهديه لكم (أمي+أبي)

إلى القلوب النابضة بصدق الحب والمشاعر إلى الاعمدة الثابتة في الحياة اخوتي واخواتي.

إلى سندي والكتف الذي استند عليه عمتي الغالية وخالتي الحبيبة.

إلى زملائي الذين شاركوني مقاعد الدراسة وإلى رفيقة دربي واعز ما أملك صديقتي إيمان.

إلى استاذي الفاضل الذي ساندني في إنجاز هذا العمل الدكتور حسونة أطال الله بعمره

إلى باقي استاذتي الكرام وإلى زملائي فالعمل

Djamila جميلة

قائمة المختصرات

باللغة العربية:

المختصر	الكلمة
ص	صفحة
د.س.	دون سنة
مج	مجلد
ع	عدد
هـ	هجري
م	ميلادي
ج	جزء
تر	ترجمة
ط	طبعة

باللغة الأجنبية:

المختصر	الكلمة
p	صفحة
oc	مرجع سابق
opvm	موقع ديوان ترقية وحماية واد ميزاب

مقدمـــة

لا شك أن لتنوع واختلاف بيئات وثقافات الشعوب التي دخلت تحت راية الإسلام دورا فعالا في تشكيل العمارة الإسلامية عامة والدينية خاصة، ويجمع هذه المنجزات المعمارية في كل أقطار العالم الإسلامي طابع موحد جسده روح الدين الإسلامي الحنيف.

تتنوع الجزائر وتتميز بالعديد من المتغيرات من منطقه إلى أخرى من حيث الموروث الثقافي والعمراني وذلك لتعاقب الحضارات والثقافات وأفكار الشعوب التي مرت بها، ومن بين هذه المناطق نتطرق في دراستنا هذه إلى جمالية العمارة الدينية عند بني ميزاب بغرداية التي تتميز بطراز عمراني خاص بها ما يحمل جمالية وشرحا فنيا بالمنطقة وذلك وبفضل تظافر عدة عوامل بيئية ودينية أنتج اباضيو منطقة وادي ميزاب عمارة متميزة تعد بحق نموذجا رائعا من العمارة الصحراوية وتبعا للقيمة التاريخية والمعمارية التي تحملها المعالم الأثرية المنتشرة في المنطقة، تقرر تصنيفها من قبل منظمة اليونسكو سنة 1982م ضمن التراث العالمي .

فالبيئة إذا كان لها أثرها في تبلور نمط معماري محلي متميز، لكن هذه العمارة لا تبتعد في جوهرها عن أصول العمارة الإسلامية ولقد جلبت هذه العمارة أنظار العديد من الباحثين والمهندسين المعماريين ومن مؤرخي الفن فأنبهروا بها وقاموا بدراستها بعين ثاقبة محاولين في ذلك إستنباط مميزاتها لكن دراساتهم إقتصرت على مجال واحد ألا وهو العمارة المدنية.

وبالرغم من دور المنشآت الدينية الفعال داخل المجتمع المزابي بإعتباره مجتمعا متدينا إلا أن الباحثين أهملوا هذا الجانب وحتى إن وجدت بعض الدراسات فتعد سطحية ومليئة بالأخطاء ولعل السبب يعود أصلا إلى عدم تمكن هؤلاء الباحثين والمستشرقين بخاصة من الولوج إلى داخل هذه المنشآت.

كما تعد العمارة جزءًا لا يتجزأ من الثقافة الإنسانية، فهي تعكس هوية الشعوب وملامحها التاريخية والاجتماعية والدينية. في هذا السياق، يعتبر واد ميزاب، الواقع في

الجنوب الجزائري، نموذجًا بارزًا للعمارة الدينية الفريدة التي تعكس تاريخًا غنيًا وثقافة مميزة. يضم واد ميزاب مجموعة من القصور والمدن التاريخية التي تمثل تجسيدًا حيًا للعبقرية المعمارية الإباضية، والتي تعود أصولها إلى القرن الحادي عشر الميلادي.

تتمتع العمارة الدينية في واد ميزاب بأهمية بالغة، فهي ليست مجرد أماكن للعبادة، بل تعكس كذلك النظام الاجتماعي والثقافي للسكان. تتسم هذه العمارة بالبساطة والتكيف مع البيئة، مع التركيز على الجوانب الروحية والاجتماعية. المساجد، على سبيل المثال، ليست فقط أماكن للصلاة، بل هي مراكز تعليمية واجتماعية تلعب دورًا محوريًا في حياة المجتمع الميزابي. وفي هذا الإطار جاءت مذكرتنا تحت عنوان العمارة الدينية في واد ميزاب بالمسجد العتيق بغرداية.

لقد قسمنا هذا البحث الى ثلاثة فصول حيث كل فصل يحتوي على عدد من العناصر ،فقد تناولنا في الفصل الأول الدراسة التاريخية والجغرافية عن وادي ميزاب من خلال الرقعة الجغرافية والحدود ، أما الفصل الثاني فلقد خصص للدراسة النظرية حول العمارة الدينية ومنها عمارة المساجد ،وكان الفصل الثالث مخصص للدراسة الميدانية حيث قدمنا نموذجا للدراسة قصر غرداية والمسجد الكبير وقمنا بتقديم لمحة عن تاريخ التأسيس ونمط العمران ووصف لأهم عناصره ودعمنا ذلك بملحق خاص بالصور وأشكال ومخططات توضيحية التي من خلالها تقريب الصورة للقارئ.

1-الإشكالية:

تكتسي العمارة في وادي ميزاب منظومة عمرانية متأصلة مزجت بين الإبداع الجمالي من جهة وملائمتها مع الحياة الاجتماعية والظروف المناخية للبيئة الصحراوية من جهة أخرى حيث عكست الهوية الجزائرية من خلال تراثه المتنوع ،وأبرزت التراث المادي الثقافي والاجتماعي والاقتصادي، كما أن الهندسة المعمارية لواد ميزاب في عناصرها التشكيلية المصاغة بطريقة إبداعية وجمالية إستلهمت أيضا الكثير من المهندسين المعماريين والفنانين

التشكيليين مما جعلها متحف مفتوح وقبلة للسياحة، بحيث تعد دراسة العمارة الدينية في واد ميزاب فرصة للتعرف على جزء هام من التاريخ والثقافة الجزائرية.

ومن منطلق الزخم المادي والثقافي للتراث الذي تزخر به العمارة الدينية في وادي ميزاب حدا بنا أن نقوم بدراسة هذا الطراز دراسة فنية وجمالية مسلطين الضوء على الشواهد التاريخية التي مرت بها العمارة الدينية في وادي ميزاب بتنوعها، وإلقاء الضوء على القيم الثقافية والدينية التي شكلت هذا الطراز المعماري الفريد

وذلك من خلال دراسة نماذج بغرداية مثل المسجد الكبير وإبراز معالمه التاريخية ونمطه العمراني التي أسست عليه، وعليه يمكننا طرح الإشكالية التالية:

- كيف استطاع المجتمع الميزابي أن يطور طرازًا معماريًا دينيًا مميزًا يتماشى مع ظروف البيئة الصحراوية ويعكس في الوقت ذاته الهوية الثقافية والدينية للسكان؟
- ما هي الخصائص المعمارية التي تميز المباني الدينية في واد ميزاب؟ وكيف تساهم هذه الخصائص في تلبية الاحتياجات الروحية والاجتماعية للسكان؟

2-فرضيات البحث:

1. تمكن المجتمع المزابي من تطوير طراز معماري ديني يتماشى مع ظروف البيئة الصحراوية من خلال الاستفادة من مجموعة من المبادئ والتقنيات التي تتناسب مع المناخ الصحراوي.
2. يعتبر التصميم المدمج والأسقف المقببة والأزقة الضيقة من أهم الخصائص المعمارية التي تميز المباني الدينية في وادي ميزاب.
3. يعتبر التكيف مع البيئة أحد أبرز الخصائص التي تساهم في تلبية الاحتياجات الروحية والاجتماعية السكان.

3-أهم المصادر والمراجع المعتمد عليها:

الجدير بالذكر أنه تعذر علينا العثور على مصادر مختصة في دراسة العمارة الدينية الموجودة في وادي ميزاب في غرداية ولذلك تطلب مني الاستعانة ببعض البحوث وبعض المراجع الغير مختصة بشكل دقيق في دراسة موضوع البحث وما وجد فهو إشارة لبعض المعطيات الخاصة ببعض النماذج المختارة من التراث المعماري في وادي ميزاب وبعض المميزات والخصائص الأثرية العامة.

وقد استعنت في الدراسة الميدانية بمجموعة من البحوث التي تناولت الموضوع بصفة عامة والمسجد العتيق بغرداية بصفة خاصة أهمها:

- "العمارة الدينية الإباضية بمنطقة وادي ميزاب"من إعداد: بلحاج بن بنوح معروف، أطروحة دكتوراه دولة في تاريخ العمارة الإسلامية، قسم علم الآثار، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان،2002.
- "العمارة والعمران ببلاد المغرب في القرنين الخامس والسادس هجري من خلال كتاب القسمة وأصول الأرضين قصور سهل وادي ميزاب أنموذجا " من إعداد بلقاسم دحماني، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر، تخصص آثار إسلامية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الجلفة، 2018/2019م
- "المسكن التقليدي بقصر غرداية وقصر بريان دراسة تحليلية مقارنة"، من إعداد رانية غناي، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر، تخصص آثار إسلامية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الجلفة، 2020/2021

4-أهداف الدراسة :

يهدف هذا البحث إى:

تقديم دراسة تحليلية معمقة للعمارة الدينية في قصور واد ميزاب، متناولين الجوانب التاريخية والثقافية والاجتماعية التي ساهمت في تشكيل هذه العمارة الفريدة. وسنحاول من خلال هذا البحث:

1. تحليل الخصائص المعمارية للمباني الدينية في واد ميزاب.
2. استكشاف التأثيرات الثقافية والدينية على تصميم هذه المباني.
3. فهم دور العمارة الدينية في الحياة الاجتماعية للسكان.

4_ غرس المعارف والبحث الفني بالجزائر لما يخدم الحفاظ على الموروث الثقافي وإبراز الهوية الجزائرية من خلال تراثها المتنوع.

5-منهج البحث:

لتناول هذه الإشكالية، يعتمد البحث على المنهج التاريخي والتحليلي،

مستفيدًا من مجموعة من الأدوات البحثية مثل الزيارات الميدانية، والمقابلات مع الخبراء المحليين، ومراجعة الوثائق التاريخية والأثرية. سيتم تحليل نماذج محددة من المساجد والمدارس الدينية والمنازل لفهم السمات المعمارية المشتركة والمتفردة.

لقد اعتمدنا على المنهج الوصفي لمعرفه حالة النماذج المختارة والمنهج التحليلي الذي يمكننا من تشخيص الاحتياجات والمتطلبات المادية واللامادية لعمارة المساجد في منطقة وادي ميزاب.

6- أهمية الدراسة :

تنبع أهمية هذا البحث فيما يلي:

_ الحاجة إلى توثيق وحفظ التراث المعماري الديني في واد ميزاب، الذي يمثل جزءًا هامًا من التراث الثقافي الجزائري والعالمي. من خلال تقديم فهم أعمق للعمارة الدينية الميزابية.

_ تقديم توصيات فعالة للحفاظ على هذا التراث الفريد وضمان استدامته للأجيال القادمة.

_ المساهمة في تعزيز الجهود المبذولة لحفظ التراث المعماري في واد ميزاب وحمايته من التحديات البيئية والتحديثية.

7-أسباب اختيار الموضوع:

- اهتمامي الذاتي بهذا النوع من فنون العمارة.
- قلة الأبحاث والدراسات في هذا المجال والمخصصة لمدن وادي ميزاب.
- محاولة القيام بدراسة وصفية لمخططات هذه المعالم الدينية من خلال دراسة خصائص المسجد الكبير بغرداية واختياره كنموذج للدراسة.
- تشجيعي من طرف بعض زملائي وأساتذتي الأفاضل لأن هذا العمل يستهويني نوعا ما.

8- صعوبات الدراسة :

* عدم وجود مراجع متخصصة في دراسة العمارة الدينية في وادي ميزاب بغرداية.
* صعوبة الحصول على الوثائق وخاصة البطاقات التقنية.

الفصل التمهيدي:

الإطار الجغرافي والتاريخي

لوادي ميزاب

1-الموقع:

تقع ولاية غرداية شمالي صحراء الجزائر يحدها من الشمال ولايتي الأغواط والجلفة، وجنوبًا ولاية المنيعة، ومن الغرب ولاية البيّض، ومن الشرق ورقلة[1]. **(أنظر الملحق رقم 01)** وتقع مدينة غرداية العاصمة الإدارية في شمال الولاية على الطريق الوطني رقم 01 الرابط بين الجزائر وتمنراست، على مساحة تقدر ب 300 كلم مربع وتحتوي على قصرين هما: "قصر تغراديت" و" قصر آت مليشت" تبعد المدينة عن الجزائر العاصمة بـ 600 كلم ومتوسط ارتفاعها عن سطح البحر يقدر بحوالي 468 م ويحدها إداريا:

- من الشمال بلدية بالريان
- من الغرب بلدية الضّاية
- من الجنوب الشرقي بلدية بونورة.

تعد مدينة غرداية أهم مدن وادي مزاب وأصبحت بمرور الزمن عاصمة الاتحاد الفيدرالي الميزابي، وكانت المدينة تضم آنذاك ثلاث مجموعات سكانية مختلفة بحيث تشكل كل واحدة جدار، وأما وسط المدينة فيقطنه بنو مزاب، وفي الجنوب الغربي يوجد حي المذابيح الذي فصل كذلك بواسطة سور[2].

تمتاز بطابعها المعماري الفريد من نوعه كما تتميز بإشعاعها الفكري عبر القرون.[3]

[1] يوسف بن بكير الحاج سعيد، مرجع سابق، ص:01

[2] بلحاج بن بنوح معروف، العمارة الإسلامية مساجد مزاب ومصلياته الجنائزية، دار قرطبة، ط1, الجزائر،2007. ص:63.

[3] ديوان حماية وادي ميزاب و ترقيته، سلسلة قصور غرداية، الجزائر، سنة 1435هـ/2014م، ص05.

2.الإطار الجغرافي لوادي ميزاب

1.2. الدراسة الطبيعية لمنطقة وادي ميزاب

تتميز ميزاب والمناطق المجاورة لها بموقعها الجغرافي والفلكي الاستراتيجي وجيومورفولوجية تضاريسها وجيولوجيتها ومناخها في إنشاء حضارة خاصة بها[1].

2.2. الموقع الجغرافي والفلكي:

ينتمي وادي مزاب إلى الحوض الشرقي للصحراء الجزائرية الذي يحدها شمالًا جبال الأطلس التلي الصحراوي، ومن الغرب والجنوب–الغربي قورارة وتوات ومن الجنوب الأهقارالطاسيلي، ومن الشرق الحمادة الحمراء ومنطقة غدامس

يقع إقليم وادي مزاب بقلب المنطقة الشمالية الصحراوية الجزائرية على بعد 600 كلم جنوب الجزائر، بين خطي العرض°32.4833 شمالا والطول 3.68333° شرقا[2]، يتربع على مساحة تقدر بـ 86106 كلم²، تمتد من الشمال–الغربي إلى الجنوب–الشرقي، ويرتفع عن مستوى سطح البحر بـ 780م في الجهة الشمالية–الغربية وذلك في رأس الريحة جنوب حاسي رمل، ويقع الارتفاع تدريجيا كلما اتجهنا نحو الجنوب الشرقي ليصل إلى حوالي 300م[3].

3.2. جيولوجية المنطقة:

على بعد 100 كلم جنوب الأغواط وبالضبط بالقرب من تلغمت تظهر القواعد الأولى لسلسلة من الهضاب الصحراوية المتقطعة في أماكن عديدة، وهذا ما سمح بنشوء واحات غير منتظمة خلالها.

---

[1] عمر بن محمد زعابة، آليات وطرق حفظ وتسيير التراث المبني في وادي مزاب، اطروحة دكتوراه، تخصص حفظ وتسيير التراث الأثري، جامعة تلمسان، سنة 2016/2015، ص64

[2] Marth et Edmond, Gowion ; khridjisme : Monggraphiedumzab L'uprinerievigie.Maracarin casablanca, paris, 1926, p.177

[3] عمر بن محمد زعابة، المرجع السابق، ص64.

يبدو مركز شبكة وادي مزاب حيث يوجد قصر غرداية على شكل فوهة بركان عظيمة ذات هياكل داخلية مائلة تشكل بعض الأحيان انحدار شديد، وتكون بداخلها تجويفة تنطلق من الجهة الشمالية–الغربية، وتتجه نحو الجهة الجنوبية الشرقية، ويسيل خلاله وادي مزاب وسط مهرجان من الصخور[1]، ويبلغ طول هذا الوادي 18كلم وعرضه 2كلم.

تتدرج المدن المزابية الخمس فوق هضاب صخرية صغيرة تستقبل أربع واحات مياه وهي واحة وادي متليلي وواحة وادي مزاب وواحة وادي النسا وواحة وادي زغرير.

تنتمي الترسبات الجيولوجية بالوادي إلى العصر الرابع من الزمن الكريتاسي الأوسط، وتشكل الهضبة الصخرية من مجموعة كبيرة، من الأخاديد والأودية الجافة التي تتقاطع فيما بينها مكونة ما يشبه الشبكة، ومن هنا أُعطت المنطقة اسم (شبكة وادي مزاب)، وتتكون هذه الهضبة من طبقات كلسية أفقية ذات اللّون الرمادي المائل للّون الأسود بينما تميل الطبقات الكلسية العلوية منها إلى اللّون الأسمر الضارب إلى البني أو اللّون الأسمر الضّارب إلى الصُفرة وتختلط الطبقات الكلسية في الأخاديد بالجبس وتستعمل هذه الصخور الجبسية الكلسية كمادة في البناء[2] ، يروى أن شبكة وادي مزاب يعود عصرها إلى العهد الطباشيري الذي ينتمي إلى الحقب المزوزي يقدر حوالي سبعين مليون سنة، وقد امتد في الفترة الزمانية التي مضت عليها 75 مليون سنة ويتميز هذا العصر بفياضانات مياه البحار على الأراضي اليابسة[3] .

يتقاطع وادي مزاب مع عدد من الأودية المحلية، فبمجرد دخوله المنطقة من الجهة الشمالية الغربية يلتقي بوادي توزوز في بداية واحة غرداية، ثم يواصل طريقه ليلتقي بوادي أنتيسا حيث تمتد واحة بني يزقن، ثم يتقاطع مع وادي أرويل في بنورة ليستمر على شكل واد

[1] Marth Et Edmond Gouvion ; Op. Cit. P: 178

[2] بلحاج بنوح معروف، مرجع سابق، ص: 45-47.

[3] بكير بن سعيد أعوشت، وادي ميزاب في ظل الحضارة الاسلامية دينيا وتاريخيا واجتماعيا، المطبعة العربية، غرداية، سنة 1991 ص:20-21

ضيق، ثم يتسع بعد ذلك عند التقائه بوادي نميراث ووادي نيمل إلى زلفانة إلى أن يصب في سبخة الهايشة[1] قرب نقوسة على بعد 16كلم شمالي ورقلة.

المتمعن في مرفولوجية منطقة وادي مزاب يلاحظ أنه منخفض متدرج يتجه من الشمال–الغربي إلى الجنوب–الشرقي، يمتد بين طريفيه أُخدود يمثل مجرى وادي مزاب عرضه لا يتعدى الكيلومترين، ويحاذي هذا الأخدود على امتداد ضفتيه سلسلة من تلال صخرية انخفاضها على مستوى سطح الهضبة يقدر في المتوسط بـ 80م[2].

4.2. المناخ:

مناخ المنطقة من النوع الصحراوي المتميز بقلة التساقط والشمس الحار وغياب شبه كلي للغطاء النباتي باستثناء النخيل بالواحات ويتميز كذلك بهبوب الرياح الساخنة في فصل الصيف والباردة في الشتاء[3].

أ. **الحرارة:** سجلت درجات الحراره تباين كبير بين الليل والنهار الشتاء والصيف الفترة الحارة تبدأ من شهر ماي وتمتد حتى شهر سبتمبر درجة الحرارة المتوسطة المسجلة في شهر جويلية هي 36.3 درجة الحرارة القصوى المسجلة لهذه الفترة 47 درجة أما بالنسبة للفترة الباردة الحرارة المتوسطة المسجلة في شهر جانفي 9.2 درجة فيما سجلت 1 درجه كحد أدنى في هذه الفترة.

ب. **التساقط:** التساقطات تعتبر قليلة وضعيفة وغير منظمة حيث تبلغ التساقطات السنوية المتوسطة حوالي 50 ملم في الأعوام التي تكون جافة، التساقطات لا تتعدى 20 ملم إلى 30 ملليمتر والقيمة المتوسطة للرطوبة تتراوح بين 42% من شهر أكتوبر إلى أفريل مقابل 24% من شهر ماي إلى سبتمبر أما الحد الأقصى للتساقط يقدر ب 68 ملم مقابل

---

[1] بلحاج بن بنوح معروف، مرجع سابق، ص:46

[2] يحيى بوراس، العمارة الدفاعية في منطقة وادي ميزاب (نموذج قصر بن يزقن من القرن (10–13هـ/13–16م) دراسة وصفية تحليلية مقارنة، مذكرة شهادة ماجستير في اللآثار الإسلامية، الجزائر، 2001–2002، ص:02.

[3] محمد جودي، واجهات مساكن قصور سهل وادي مزاب، مذكرة لنيل شهادة الماجيستر في علم الآثار والمحيط، جامعة تلمسان، 2006–2007، ص 03

حد أدنى يقدر ب 13 ملم وذلك بمعدل 15 يوم ممطر في السنة ومن خلال العلاقة بين الحرارة والتساقط نجد أن الفترة الجافة تبدأ من شهر أفريل إلى شهر أكتوبر حيث تتميز بارتفاع الحرارة وقلة الأمطار كما تتعرض المنطقة للسيول الفجائية[1] .

ج. الرياح: بالنّسبة للرّياح فنجد ثلاثة أنواع من الرّياح وهي كالتّالي:

رياح السيروكو"Siroco ": وتُعرف بالشهيلي وهي تأتي في الصّيف وتمتّد من الجنوب وسرعتها تصل إلى 16م/ثا، وفي بعض الأحيان أكثر.

ريّاح الصحراوي: وهي جنوبية غربية تمتد في فصل الرّبيع سرعتها بين 13 و16 كلم/سا، وتكون مصحوبة بالرّمال وتسبّب عدم وضوح الرؤية عند قدومها.

رياح الشّرقي(البحري): فصل قدومها هوالخريف وتكون سرعتها بين10 و11 كلم/سا، وهي رياح رطبة نسبيا ذات فائدة بالنّسبة للزّراعة[2].

[1] محمد جودي، مرجع سابق، ص:102

[2] بلقاسم دحماني، مرجع سابق، ص:81

3.المدخل التاريخي:

1.3.مدلول كلمة ميزاب:

مزاب هي التّسمية الشائعة والمتعارف عليها الآن وقبل أن تضبط بالشّكل النهائي الذي تعرّضت حروفها بتغيّرات لغوية، تشير العديد من الآراء أنّ كلمة مزاب هي مصعب حيث تعرّضت للحريف وأصبحت مصاب بقلب حروف العين الحلقية إلى همزة ثمّ الحروف ولحقتها وأصبحت مزاب، ولهذا يرجع إلى طبيعة لغة بني ميزاب[1]، حيث يبدل الصاد زاي مفخمة بالكلمات وخاصة العربية، مثل: الصّوم الذي أزومي والصّلاة التي تصبح تزاليت[2].

وترجع نشأة منطقة وادي ميزاب إلى أوائل القرن الخامس الهجري الموافق للقرن الحادي عشر ميلادي وكانت المنطقة قبل هذه الفترة منتجعا لأهل البادية من الرحل ينزحون إليها طلبا للقوت أو الاحتماء من قسوة الطبيعة، وبالرغم من امتيازها بتضاريس وعرة استطاع المجتمع المزابي الاستقرار فيها بفضل الخبرة التي اكتسبها بعد إنشاء لعدة مدن كتاهرتوسدراته، واستطاع أن يتأقلم مع المنطقة وأنشأ من جديد طابع مميز أعطى إلى السهل نكهة مميزة وأصبح يضرب به المثل في فن العمارة الاسلامية وفي الفترة الاستعمارية هيمن المحتلون على اقتصاد المنطقة وجل مجالات الحياة الثقافية منها أو الدينية، مما أدخل تغييرا في نمط المعيشة وطبيعة العلاقات والممارسات وتقليص دور الهياكل الدينية والتربوية[3] .

2.3. أصل بنو مزاب:

لقد تضاربت واختلفت الآراء حول أصل التّسمية بني مزاب إلّا أنّ جميعها اتفقت إلى أنّ نسبهم يعود إلى قبيلة زناتة البربرية، وحسب ماورد في كتاب ابن خلدون فهم ينحدرون من

---

[1]بن زكري حمو، إنشاءات الري التقليدية بمنطقة وادي ميزاب (قصر غرداية نموذجا)، مذكرة ماجستير في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر،2015/2014، ص 24.25

[2]محمّد جودي، المسكن الإسلامي في القصور الصحراوية في الجزائر "دراسة تحليلية مقارنة لقصور ميزاب وورقلة"، أطروحة الدكتوراه علوم، تخصص علم الآثار والمحيط، جامعة تلمسان، 2013-2014م،، ص:103

[3]بلقاسم دحماني، العمارة والعمران ببلاد المغرب في القرنين الخامس والسادس هجري، من خلال كتاب القسمة وأصول الأرضيين (قصور سهل وادي مزاب انموذجا)، مذكرة لنيل شهادة الماستر في علم الآثار، جامعة الجلفة، سنة 2018-2019، ص:82

نسب محمد بن باديس الذّي هاجر إلى بلاد الشبكة مع أبناء إخوته وهم: عبد الواحد وتوجين وزردال، ويكمل في هذا الشأن...من شعوب زناتة وإن كانت شهرتها مختصّة بحماية (بين ريفية والتّراب)[1].

كما أنّ هناك من يرى أنّ أصل المزابيين مختلط فمنهم البربر والعرب، وليس هناك أصل واحد لسكان المزاب بل هناك عدّة هجرات وفدت إلى المنطقة عبرالأزمنة والعصور من شتّى النّواحي، وهذا نتيجة لما آلت إليه أحوال الإباضية خاصّة بعد سقوط الدّولة الرستمية، فكانت الهجرات على عدّة مراحل من المناطق المجاورة وحتى البعيدة، من سدراته ونقوسة وتاهرت ومن الشّمال الجزائر وشرقها الأوراس، وجنوبها وادي سوف ووادي ريغ، وغرب الجزائر سجلماسة، وبالتّالي فالتّركيبة السكّانية لمنطقة وادي مزاب مختلطة تجمع العديد من السكّان الذين وفدوا من مناطق مختلفة من بلاد المغرب، وكلّهم كانوا على المذهب الإباضي منهم البربر والعرب وأصبحوا يُعرفون ببني مزاب يتكلّمون اللّهجة الزناتية أو المزابية المحلية[2].

4. التطور الحضاري والعمراني لمنطقة وادي ميزاب

واد ميزاب هو واحة في قلب الصحراء الجزائرية، وقد تم تأسيسه من قبل أتباع المذهب الإباضي الذين هاجروا من تيهرت بعد سقوط دولتهم. تأسست مدن واد ميزاب، المعروفة بالقصور، في منطقة تتسم بقسوة الطبيعة وشح المياه، مما دفع السكان إلى ابتكار أساليب معمارية تتماشى مع البيئة الصحراوية القاسية وتضمن استدامة الحياة.

إن منطقة وادي ميزاب تحتفظ بالكثير والعديد من المدن والقصور التي أنشئت فيها عبر التاريخ منها ما أندثر كليا ومنها ما بقيت آثاره وأطلاله ومنها ما هو باقي إلى اليوم ونحن عموما نذكر بعض وأهم المدن المندثرة والباقية أطلالها وفي هذا المجال يمكن تقسيم تطور الحاصل إلى خمسة مراحل متمايزة:

---

[1] عبد الرحمان بن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربريون ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج 7، دار الفكر، 1421-2000، ص:80

[2] يوسف بكير الحاج سعيد، تاريخ بني مزاب، دراسة اقتصادية وسياسية، المطبعة العربية، غرداية، 2003 ، ص:08

1.4. مرحلة ما قبل التاريخ:

إن فكرة استيطان الإنسان ما قبل التاريخ بالمنطقة رفضها المؤرخون قديما لانعدام دليل مادي يثبت ذلك وزعموا أن فكرة استيطان المنطقة قريبة العهد تعود للقرن الثاني للهجرة الموافق للثامن الميلادي حيث إتخذها الاباضية وطنا لهم، فخلال الدورة الحادية عشرة لمؤتمر ما قبل التاريخ بفرنسا عام 1934 م ،قام الباحث الدكتور بيار روفو" Roffo pierre"بإلقاء محاضرة قدم فيها حصيلة الأبحاث الميدانية التي قام بها في المنطقة حيث أكد الباحث وجود صناعة حجرية تعود إلى الحضارة الموستيرية القديمة والعاترية الحديثة فقد عثر على حوالي 2956 أداة حجرية مقسمة على 11 محطة تنتشر في كل من ضواحي المنيعة ،متليلي، وقارة الطعام بنواحي بنورة[1].

إلى جانب هذا فإن المنطقة غنية بالرموز الصخرية منها مشاهد للحيوانات ورموز التيفيناغ وأشكال أخرى تنتشر في كل من موقع "مومو" وانتيسة ببني يزقن"مرماد" والموقع الأثري لقصر" بابا السعد"المندثر بغرداية ومنطقة عطفة الكتبة بأقصى شمال الضاية بن ضحوة ومنطقة "أمبارك" ببريان ثم تحديد تاريخ معظمها إلى حوالي 5000 سنة قبل الميلاد وبالتحديد في فترة البرونز[2].

2.4. مرحلة ما قبل الإباضية

تمتد من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الرابع إذ كانوا يسكنون الخيام ثم أسسوا تجمعات سكانية تطورت حتى أصبحت قرى وأشهر القرى في هذا العهد قرية الصوف حيث تتميز بنسجها الصوف وهناك قرى وقصور مشابهة مثل قصر" أولال" الذي لمن يبقى منه إلا الحصن وقصر "اخيرة "حيث يشهد عليه مسجده الذي لا يزال قائما شرق بلدية العطف

[1] عمر بن محمد زعابة، الحفظ الوقائي للمواقع الأثرية بغرداية، مذكرة لنيل شهادة الماستر، جامعة ابي بكر بلقايد، تلمسان، 2012، ص 123

[2] دليل ديوان حماية وادي ميزاب وترقيتهopvm مشروع القطاع المحمي للسهل وادي ميزاب، غردايهالجزائر، ص 03

وحسب علماء الآثار والمؤرخين فإنه كانت توجد شواهد وآثار تدل على وجود قصور حيث قدروا على وجود 21 قصر هي شواهد على طول الوادي[1].

3.4. مرحلة الإباضية:

تمتد من نهاية القرن الرابع هجري إلى نهاية القرن الثامن وفيه تم تأسيس القصور الخمسة المشهورة: العطف(تجنينت402هـ/1011م)، غرداية(تغردايت447هـ/1008م)، بنورة (آت بنور437هـ/1084م)، بنييزقن (ات ازجن 720هـ)، مليكة (ات مليشت 756هـ)

أعتمد بنو ميزاب على الفلاحة الثابتة وتحولوا تدريجيا إلى المذهب الإباضي وقد تأثروا بدعاة هذا المذهب الذين قدموا من الشرق العربي بعد عدم استقرارهم في تيهرت وجلائهم من سدراته ورجلان حيث استقروا في ميزاب وأستعملوا كل أفكارهم التي حملوها معهم لتطوير جميع ميادين الحياة فازدهرت الفلاحة والري والعمران وحفروا الآبار وأنشئوا نظام محكم لتجميع وتقسيم مياه الأمطار بالإضافةإلى الجانب الاجتماعي حيث أنيطت إدارة شؤون كل قرية بنظام حلقة العدالة والذي يقود المجتمع، وكان مقرها المسجد وعرفت هذه المرحلة بالانغلاق التام حيث بدأوا بتطبيق سياسة العزلة التامة على المجتمع الخارجي بحيث لا يمكن لأي غريب الدخول في هذا المجتمع وهذا لعدة أسباب دفاعية وكذلك خوفهم على مذهبهم وتقاليدهم وهي الطريقة الوحيدة حسب المجتمع لحماية القيم الاجتماعية والثقافية[2].**(أنظر الملحق رقم 02)**

[1]المذهب الإباضي مذهب إسلامي تصدّر المذاهب الإسلامية في نشأته وكان ذلك على يد الإمام التّابعي جابر بن زيد الأزدي(93هـ/711م) ولكنه نسب إلى عبد الله بن إباض. يُنظر: جمعية التراث، معجم أعلام الإباضية، ج1، طبعة عربية، غرداية، 1990، ص:59.

[2]عمر بن محمّد زعابة، مرجع سابق، ص: 70

4.4. مرحلة مابين 1003م و1853م

دامت أربع قرون ونصف من بداية القرن التاسع ميلادي إلى إمضاء عقد الحماية مع فرنسا سنة 1853 م في هذا العهد توسع العمران بالوادي بفضل ممارسة التجارة في التل، كما استقبلت المنطقة طوائف جديدة إجتذبهم التطور التجاري للمنطقة ومن بينهم اليهود وقبائل أخرى من جبال العمور وهم بني مرزوق والمديح وتأسست مدينة القرارة سنة 1040م وبالريان 1060 م ولعب الميزابيون دورا متزايدا في تاريخ شمال إفريقيا وقد استمروا في توسيع البقع الخضراء التي أصبحت بذلك واحات رغم الصعاب الكثيرة جدا وعلى مرور القرون وتزايد عدد السكان اضطرت القصور الميزابية إلى هدم أسوارها عدة مرات كما وقع في بني يزقن حيث أثار المداخل القديمة للقصر مازالت تظهر جليا في مواقع سوق البلدة المتنقل والآبار العمومية تبين بوضوح أن البلدة تم توسيعها ثلاث مرات وموازات لهذا التوسع كان من الصعب عليهم توسيع مسجد لطريقة بنائه وكذا اكتظاظ المباني الواقعة في المركز.

إن الاستمرار في توسيع القصور الخمس وعدم إحداث قصور جديدة على شاكلتها كما في العطف بسبب ندرة المياه الجوفية والسبب الثاني أن أهل غرداية يمنعون أحداث واحة جديدة لأن ذلك سيؤدي حتما الى أضرار الواحات الأولى بانخفاض مستوى الماء في آبارها وارتفاع نسبة الأملاح فيها.

5.4. مرحلة مابين 1853م و1962م

ودامت هذه المرحلة حوالي قرنا حيث امتازت بفقدان ميزاب الاستقلال السياسي تدريجيا ومقاومة الاستعمار والدفاع عن الشخصية الميزابية وتميزت أيضا بتوطن السلطات الاستعمارية خارج قصر غرداية من جهة بني يزقن إلى الشرق مما أدى إلى تواجد مركز جديد ينافس المركز القديم المسجد وبمرور الوقت تزعزعت قوته بتحويل أهم السلطات (السلطة التنفيذية ثم التشريعية والقضائية) بتأسيس نظام تعليمي تربوي على النمط الغربي وبمرور الوقت تناما هناك نمط معيشي جديد غريب عن المنطقة يحاكي ويصارع النمط

المحلي في البقاء، وعموما مع بداية الخمسينيات بدأت تنتشر أحياء جديدة حول غرداية ومليكة تستقبل البدو الرحل وهذه الأحياء هي : مرماد ،العين، دادة علي ثنية المخزن ،حي الحاج مسعود[1].

6.4.مرحلة الاستقلال:

بعد خروج المستعمر نمت المدينة في جميع الاتجاهات ولكن هذه المرة كانت بوتيرة سريعة وتحولت السلطة من محلية ذات هياكل تسيير ومراقبة محلية إلى سلطة وطنية مركزية ذات هياكل وقرارات مركزية خارجية عن المنطقة وانتهاج سياسة تنموية اتجاه المنطقة وذلك باستقطاب الناس لتعمير المنطقة خاصة مع وجود آبار البترول والغاز في الضواحي القريبة وإنشاء منطقة صناعية هامة تستوجب يد عامله علاوة على ما يجب توفيره لتلك اليد العاملة من مأوى واحتياجات ضرورية للحياة الكريمة هذه الأسباب أدت إلى ظهور نمو عمراني ذي وتيرة سريعة، وبذلك زحف العمران على بني يزقن من الشرق ونحو الواحة من الغرب وأصبحت بلاد الشبكة كتلة عمرانية ضخمة تتكون من أحياء ذات غالبية من سكان المنطقة الأصليون وأحياء ذات غالبية مستوطنة(تشكل أقطاب)وازداد عدد السكان وظهرت بعض التجاوزات العمرانية حيث زحف الاسمنت إلى رئة المدينة في بعض القصور وفي الواحة وهذا لغلاء ونفاذ الأراضي داخل المدينة و خصوصا أن غالبية الأراضي ملك خاص وللسكان حصة الأسد في اعتمادهم على أنفسهم لبناء مساكنهم وهذا حسب إمكانيتهم ورغباتهم[2].

[1] اداود أبو بكر وبو سنان عيسى، تثمين واعادة تأهيل القصر القديم بابا السعد–غرداية، مذكرة تخرج لنيل شهادة مهندس دولة في الهندسة المعمارية، جامعة عمار ثليجي، الأغواط، 2011

[2]اداود أبو بكر وبو سنان عيسى، 2011

الفصل الأول:

العمارة الدينية

وعناصرها المعمارية

1-نشأة فن العمارة الإسلامية:

إن العمارة فن، والفن أصدق أنباء التاريخ، لأنه الكاشف عن حقائق التاريخ. والعمارة إبداع والإبداع خاصية إنسانية، اختص الله بها الإنسان دون سائر الكائنات. فبيوت العنكبوت والنمل وخلايا النحل صادرة عن غريزة غير متطورة من خلال ذاكرة لحظية. وهكذا ستظل تلك البيوت والخلايا كما كانت عليها خارجة عن دورة الزمن. إلا أن الإنسان له عقل إبداعي متطور من خلال ذاكرة منسابة لإبداع يسير مع الزمان.

إن العمارة جمال والمعماري يحاول تجميل الفراغين الداخلي والخارجي ليصلح للحياة الحضارية، إذن فهي فن وإبداع وجمال. وبها بنى الإنسان حضارته بفضل ما استحدثه من عمران من خلال عقله الإبداعي.

ويعد ظهور الطراز المعماري العربي وانتشاره في وقت قليل إذا قورن بغيره من الطرز السابقة عليه طفرة، ولعل ذلك يرجع إلى إبقاء الإسلام على الطرز السابقة عليه فقد عمل على صهرها ومزجها في بوتقة واحدة وحورها بما يتناسب مع تعاليمه وتقاليده , ولعل ذلك ما جعل بعض المستشرقين ومن تبعهم من الكتاب العرب ينفون عن العرب أي فضل فيما أنشئوه من عمائر متناسين ما سبقت الإشارة إليه في إيجاز من أن الجزيرة العربية كانت مركزا من مراكز الحضارة القديمة وأنها مثل أي مكان توافرت بها أسس قيام طراز معماري.

ومما تجدر الإشارة إليه أن اقتباس العرب من الطرز السابقة عليهم من هيلينستية وساسانية وبيزنطية وقبطية كان مقتصرا على الناجية الزخرفية وبعض جزيئاتها أي أن التأثر كان في المظهر الخارجي فقط أما التخطيط والبناء الذي يعتبر جوهر العمارة والفنون فقد كان عربيا خالصا مستمدا من تعاليم الدين الإسلامي والبيئة العربية· وعلى حسب تعبير الدكتور فريد شافعي" إن جوهر العمارة العربية الإسلامية أي عظامها وما يكسوها من لحم وما يجري فيها من دماء وما دب فيها من روح كل ذلك كان عربيا إسلاميا خالصا وأما مظهرها وثوبها الخارجي فقد دخل في نسيجه بعض خيوط من طرز سابقة ... ولكنها

سرعان ما كانت تخضع لأساليب خاصة بالفنانين العرب المسلمين الذين أخذوا ينتجون منها نسيجا يتميز بأنه عربي إسلامي."[1]

والفنان المسلم لا يفرق بين العمائر الشاهقة والتحف الصغيرة، حيث يستوي عنده القصر المنيف والكوخ الحقير وآنية الذهب والطين. ولم يفرق بين تحفة غني وسلعة فقير. بل هدفه هو تجميل الدنيا في شتى زواياها ومرافقها لتعطي جمالاً ذاتياً يشيع في النفس الغبطة وفي القلب الرضى، ويشهد لمبدعه بحس جمالي عميق، وللمتذوق بحس تذوقي نقدي، فيتحول المتلقي السلبي إلى متذوق إيجابي يشارك في العملية الإبداعية خدمة للإنسان.

2-عوامل تشكل العمارة الإسلامية:

أطلقوا هذه التسمية على العمارة التي أنجزت في المناطق التي وصلها الإسلام واعتنق أهلها هذه الديانة وتمتد من المحيط الأطلسي غربا إلى الصين شرقا وقد وصلت تأثيرها إلى مشارف فرنسا.

استفاد المسلمون في بداية عهدهم بتجارب وخبرات الأمم التي دخلت في الديانة الإسلامية ومن الطبيعي أن يتأثروا بفنون تلك الأمم خصوصا أن العرب لم يصلوا بعد إلى تلك الأساليب المتطورة في مجال العمارة والبناء وما يتبعها من الزخارف المتنوعة وهكذا تأثر المسلمون بالفن الساساني والبيزنطي والهلنستي والقوطي[2].

وهذا حال الحضارات التي تتأثر فيما بينها إذ لا يمكن لأي فن أن ينشأ من عدم فلابد أن يستفاد من خبرات السابقين ويعتمد عليها في البداية لكي ينطلق الفن ويكون شخصيته الفن اليوناني مثلا اعتمد في بداية ظهوره على فنون الشرق الأدنى وبالصفة خاصة الفن الفرعوني.

[1] فريد شافعي : العمارة العربية في مصر الإسلامية ج1 ص 252

[2] Georges Marçais ;L' Art Musulman,1 Ed,presse Universitair de france paris 1962,pp 1_2

قام المعماري المسلم بتطوير تلك التجارب السابقة وصاغها على حسب احتياجات ديانته فأضفى عليها بذلك طابعه الخاص وبمرور الزمن أثبتت العمارة الإسلامية بخصوصياتها المتميزة مكانتها ضمن العمارة الأخرى وأصبح من الصعوبة بمكان محاولة تمييز تأثيرات الفنون الأخرى عليها.

وعلى الرغم من ذلك فيجدر الذكر أن هناك عاملين أساسيين ساهم في بلورة هذه العمارة وهما:

2-1. العامل البيئي: انتشر الإسلام في أقاليم تختلف في بيئتها الطبيعية من تضاريس ومناخ وكان لهذا أثره على تشكيلة الفن المعماري الإسلامي وهكذا كان للعمارة المحلية نصيبا هاما في تبلور هذه العمارة[1] .

فحيث كانت الصحراء باعتبار أن معظم الأقاليم الإسلامية تقع في بيئة صحراوية نجد المباني قد تأثرت بتلك البيئة الصحراوية فبدت بصمات هذه البيئة واضحة عليها ومن هنا ظهر تنوع في الطرز المعمارية والمدارس الفنية.

2-2. العامل الديني: كانت لتعاليم الدين الإسلامي اثر كبير في صياغة وتكون الفن المعماري الإسلامي وبما أن الإسلام قد فرض إقامة الصلاة مثلا في اتجاه الكعبة فقد جاءت كل المباني الدينية (المساجد والمدارس والأضرحة...الخ)[2] مرتبطة أشد الارتباط بهذا الاتجاه.

3-العمارة الدينية وأنواعها:

تنقسم العمارة الإسلامية إلى ثلاثة أنواع هي عمائر دينية مثل المساجد والأضرحة، وعمائر مدنية مثل القصور والقناطر والأسبلة، وعمائر حربية مثل القلاع والحصون والأبراج والأسوار والبوابات.

من أهم أشكال العمارة الدينية

[1] رئيف مهنا يسن بحر ،مرجع سابق،ص 69

[2] ثروت عكاشة، القيم الجمالية في العمارة الإسلامية، دار المعارف، القاهرة،1981،ص 14

3-1. المساجد:

المسجد لفظة إسلامية لم تكن معروفة قبل ظهور الإسلام فالاسم والمسمى به قد جاءا مع ظهور الإسلام فالمسجد هو كل مكان يسجد ويتعبد فيه. إذن فهي الكلمة التي استخدمت للدلالة على أماكن العبادة الإسلامية في البداية.

قال الزجاج "كل موضع يتعبد فيه فهو مسجد ألا ترى أن النبي(صلى الله عليه وسلم) قال : "جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا" ثم قيل : "المسجد الجامع ومسجد الجماعة والمسجد الأعظم" ثم ظهور لفظ الجامع وهو صفة للمسجد وإنما وصف بذلك لأنه علامة الاجتماع.[1] وكان بكل مدينة مسجد جامع واحد أي تقام فيه صلاة الجمعة فكان كل جامع مسجدا "ولم يكن كل مسجد جامعا" ومع ازدياد عدد سكان المدينة واتساع مساحتها احتاج الأمر إلى إقامة أكثر من مسجد جامع ونستطيع تحديد ميلاد كلمة جامع في مصر تقريبا سنة 485هـ أي زمن الفاطميين إذ وردت في اللوحة التأسيسية لمسجد المقياس الذي عفت آثاره اليوم[2].

ويحتل المسجد مكانة سامية بين المنشآت المعمارية العربية وقد لا يكون من المبالغة القول بأن عمارة المسجد هي الأساس الذي قامت عليه عمارة المنشآت الأخرى وإن كانت عمارة المسجد قد بدأت بسيطة بعيدة عن التكلف والتعقيد إذ أن المساجد الأولى كانت عبارة عن قطعة مربعة من الأرض يحيط بها سور أو خندق وكان سقفها تحمله أعمدة من جذوع النخل أو أعمدة منقولة من مباني أخرى كما في الجامع الكبير بصنعاء حوالي (6هـ) ومسجد البصرة (14هـ) ومسجد الكوفة (17هـ) ومسجد عمرو بن العاص (21هـ) وقد أصبح المسجد النبوي بتخطيطه ذي الصحن وظله القبلة مع الأروقة الأخرى نموذجا يحتذى بواسطة الأجيال المتعاقبة من المعماريين العرب في شرق العالم الإسلامي وغربه مع إضافة بعض التعديلات التي أخذت من الطراز المحلية في كل إقليم إلى أن ظهر التخطيط الإيواني الذي صاحب نشأة المدرسة والذي يتكون من صحن مكشوف يحيط به أربعة إيوانات متقابلة حيث

[1] محمد عبد العزيز مرزوق : الفنون الزخرفية الإسلامية في مصر قبل الفاطميين ص 167

[2] حسن باشا : المدخل ص 118 , المقريزي : الخطط ج3 ص 439، فريد شافعي : العمارة العربية في مصر الإسلامية ص 249

أصبح الطرازان معا يعتمدان كنواة لبناء المساجد من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي.

ثم ظهر الطراز الثالث الذي يتكون من قسمين بيت الصلاة الذي تعلوه قبة ضخمة تحيط بها أنصاف قباب والقسم الثاني عبارة عن صحن مكشوف تحيط به أروقة وقد ظهر هذا الطراز منذ النصف الثاني للقرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي.

وكان المسجد ولا يزال في بعض المدن يمثل القلب النابض لها حيث يقام حوله الأسواق والحوانيت ويتجمع حوله الباعة والتجار وتدور عمليات البيع والشراء وتعقد الصفقات كما أن المسجد كانت له أهميته الحربية حيث كانت تعقد فيه الألوية للجهاد كما كانت له أهمية سياسية حيث كان يتم فيه البيعة للخلفاء والأمراء وكان يتشاور فيه المسلمون في أمور دينهم ودنياهم كما كان يعقد فيه مجالس القضاء والعلم .

لذلك اهتم المسلمون بعمارة المسجد والمحافظة عليه والعناية بزخرفته وتنميقه ليبدوا دليلا على عظمة هذا الدين فازدهرت لذلك الحرف والصناعات والفنون التي كانت في بدايتها مرتبطة بالمسجد وعمارته أي أن المسجد كان محورا للحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والقضائية ومن المعروف أن أعظم المساجد وأكثرها تقديسا لدى العرب المسلمين ثلاثة مساجد هي : المسجد الحرام بمكة , المسجد النبوي الشريف , المسجد الأقصى وذلك بنص الحديث النبوي وقد نالت هذه المساجد الثلاث الحظ الأوفر من الاهتمام والعناية والحفظ على مر العصور .

3-2. المدارس

كان المسجد هو المدرسة التي يلجأ إليها كل طالب علم ومع ازدياد عدد المتعلمين بدأ ظهور المدارس كبناء مستقل بذاته ولكنه يجمع بين إحياء شعائر الدين وتدريس العلوم وذلك بعد أربعمائة سنة خلت من الهجرة.

ويرجح أن الشيعة هم أو من أنشئوا المدارس التي تعرف بدور المعلم وذلك لنشر المذهب الشيعي ثم ظهرت المدارس السنية في شرق العالم الإسلامي كرد فعل للمدارس الشيعية ويروي أن أهل نيسابور هم أول من بنوا مدرسة وكانت ذروة ازدهار المدارس وانتشارها في عهد الوزير نظام الملك أيام السلاجقة ثم أخذت في الانتشار غربا إلى مصر وغرب العالم الإسلامي ففي العصر الفاطمي طغى تدريس المذهب الشيعي في مصر والبلاد الخاضعة للفاطميين على الرغم من وجود بعض المدارس السنية التي أنشأها بعض الوزراء أصحاب المذهب السني كمعاهد خاصة.

وعندما تولى صلاح الدين الأيوبي بدأ ظهور المدارس كمعاهد عامة بتدريس المذهب السني حيث أنشئ في عهده ما يقرب من 13 مدرسة حيث اقتدى في ذلك بالملك العادل نور الدين زنكي الذي أنشأ العديد من المدارس بدمشق وحلب ومصر وقد سار خلفاء صلاح الدين وأولاده وأمراءه على نهجه في إنشاء المدارس.

-تصميم المدارس:

يقترب تصميم المدرسة من تصميم الجامع حيث يشتركان في إحياء الشعائر الدينية فيما عدا صلاة الجمعة والعيدين وتدريس العلوم وتتكون المدرسة غالبا من إيوان واحد جهة القبلة لتدريس المذهب السائد بالدولة وقد يكون بها إيوانين متقابلين أو أربعة إيوانات متعامدة أكبرها إيوان القبلة والإيوانين الجانبيان صغيران مما يوضح أن تخطيط المدرسة بعيد عن التخطيط الصليبي حيث أن عروض الإيوانات ليست مساوية لأضلاع الصحن الذي تفتح عليه كما هو الحال في مسقط الكنائس[1] كما تحتوي المدرسة على عدد من الحجرات لسكنى الطلبة والمدرسين ويتوسطهما فناء مكشوف به فسقية ويلحق بها قبر المنشئ وسبيل يعلوه كتاب ولما صغر حجمها غطى الصحن واستغنى عن الفسقية وقبتها والمدارس السنية يرجح أنها تأثرت بنظام الإيوانات الساسانية والتي انتشرت في المدارس السلجوقية وكذا المدارس

[1] حسن باشا : المرجع السابق

السورية والمصرية مع بعض الخصائص المحلية أما المدارس في المغرب فقد تأثرت بطراز الرباط وفي القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي طغى تصميم المدرسة على المسجد وانشئ كثير من المساجد على نمطها وكانت تسمى أحيانا المدرسة وأخرى المسجد[1]

3-3.الأربطة:

الرباط معناه في الأصل كان يطلق على إعداد الخيل وربطها وملازمة الثغور استعدادا للجهاد في أية لحظة ثم أطلقت على البناء نفسه الذي يضم المقاتلين المتطوعين والفدائيين الذين يجمعون فيها بين حياة الجهاد وحياة العبادة.

والرباط هو بيت الصوفية ودارهم وهم يشبهون أهل الصفة الذين كانوا يتخذون من مسجد النبي (صلى الله عليه وسلم) مكانا للإقامة لعدم وجود الأهل والمال لديهم[2]

وقد أشار المقدسي إلى دور هذه الربط في إرسال الأخبار الهامة إلى المدن عن طريق الإنذار السريع عند تعرض البلاد لخطر ما ."فإن كان ليل أوقدت منارة ذلك الرباط وإن كان نهارا دخنوا".

والرباط مأخوذة من قوله تعالى : "واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ورباط الخيل"[3]

أي أن إقامة الأربطة يرجع لسببين ديني وسياسي حيث كان يقيم به المحاربون وينقطعون للعبادة ويستعدوا للجهاد متربصين بأعداء الدولة ومن هنا أكثر العرب من بناء الأربطة خاصة على حدود دولة الروم في المشرق وفي المغرب وثغور الأندلس حتى أن دولة كبرى من دول المغرب العربي عرفت باسم دولة المرابطين

وربما ترجع عمارة الأربطة إلى السنوات الأولى للفتح الإسلامي وذلك منذ سنة 18هـ إذ أنشئت على السواحل الشامية وسواحل إفريقيا وبلاد المغرب حيث أدرك المسلمون خطورة هجمات الأساطيل البيزنطية على تلك السواحل وربما كان اختيار القيروان التي لا تبعد كثيرا

[1] المقريزي : الخطط ج3 ص 600 : 601

[2] عبد الرحيم غالب : موسوعة العمارة الإسلامية، ط1، بيروت لبنان، 1988م، ص 195 : 197.

[3] سورة الأنفال الآية 60

عن البحر وتحصينها واعتبار أهلها مرابطين يؤيد نشأة الأربطة منذ الفتح الإسلامي ومع اتساع رقعة الدولة زادت الحاجة إلى إنشاء الأربطة والمحارث ودعمها بالمرابطين أضف إلى ذلك أن الرباطات أدت وظيفة هامة أخرى وهي تأمين القوافل التجارية خشية مهاجمتها فأصبحت هذه الأربطة بمثابة نقاط لمراقبة طرق التجارة ويحدثنا المقريزي عن ذلك بقوله : "ولما ولي إبراهيم ابن أحمد بن محمد الأغلب أفريقيا في سنة إحدى وستين ومائتين حسنت سيرته فكانت القوافل والتجار تسير في الطريق وهي آمنة وبنى الحصون والمحارس على ساحل البحر حتى كانت توقد النار من مدينة سبتة إلى الإسكندرية في ليلة واحدة وبينهما مسيرة أشهر"

أما تخطيط الأربطة وهو متشابه حيث تتشابه في المسقط المستطيل الذي يتوسطه صحن كما أن مصلاها يقع في الناحية القبلية أما النواحي الأخرى فبها قاعات لسكنى المرابطين كما يحيط بها أسوار مزودة بأبراج ركنية وضلعية ولها مدخل واحد وطبقتان اثنتان وفي بعض الأربطة كان يوجد مكان لإقامة البنات اليتامى والنساء الأرامل والمطلقات الذي فقدوا العائل ومن أهم الأربطة التي وصلتنا رباط المنستير ورباط سوسه وكلاهما في سوسة.

3-4. الخانقاوات :

الخانقاه لفظ فارسي معناه البيت الذي يكون فيه النساك والزهاد في المغرب العربي تعرف الخانقاه باسم "الزاوية" وبدأ انتشار الخانقاوات على يد صلاح الدين الذي هدف بها إلى زيادة التعمق والتخصص في الفقه الدين لمن أراد ومواجهة ومحاربة المذهب الشيعي من جهة أخرى حيث حول بعض الدور الفاطمية إلى خانقاوات مثل "دار سعيد السعداء" ولم يكن كل من بالخانقاه منقطعون للدراسة بل كان بعضهم يزاولون الأعمال كغيرهم من الناس.

وفي العصر المملوكي تطورت الخاناقاه فأصبحت تجمع بين المدرسة والتكية والضريح غير أن أهداف الخانقاه تغيرت في العصر العثماني فلم تعد تلك المؤسسات المخصصة للتفقه في الدين بل أصبحت تعرف بالتكايا وسمي أهلها بالدراويش الذين لا يزاولون أية

أعمال بل أدخلوا بدعا لا يعرفها الإسلام من قريب أو من بعيد وأخذوا يتمرغون في خيرات الأوقاف التي حبست عليهم[1].

وكان تخطيط الخانقاه عبارة عن صحن تحيط به ايوانات أربع بلا مئذنة ولا منبر يضم مسجدا لا تقام فيه صلاة الجمعة ويلحق به سبيل ومدرسة تدرس فيها العلوم الدينية كالفقه والحديث والتفسير وهو بذلك يشبه المدرسة من حيث التصميم والرسالة[2]

3-5. الزوايا:

لغة : الزاوية هي ركن البيت جمعها زوايا عند الحجارين والنجارين وغيرهم هي آلة ذات ضلعين مستقيمين يتصل طرفاها فيحدثا زاوية قائمة[3] اما ياقوت الحموي فيقول يلفظ زاوية البيت عدة مواضع منها قرية بالموصل من كورة بلد والزاوية موضع قرب البصرة كانت به الموقع المشهورة بين الحجاج وعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث سنه 83 هـ/ 702 م.

إصطلاحا: صومعة المتصوف تطلق على المسجد الصغير أو المصلى وهو المعنى المنتشر للزاوية عند المسلمين في الشرق الإسلامي أما في المغرب الإسلامي فقد ارتبط مصطلح بالصومعة التي يعتزل فيها الولي ويعيش بين تلاميذه ومريديه كما كانت الزاوية مكانا يلجأ إليه الناس هروبا من الدنيا ومركزا للحياة الدينية والصوفية ومدارس دينية ودور ضيافة مجانية ولحد اليوم ما زالت الزوايا في شمال إفريقيا سواء الموجودة في المدن أو الأرياف تمثل المقر الرئيسي أو الفروع للمرابطين أو الطوائف الدينية[4] ، ويذهب الكثيرون إلى أن أصل الزوايا هو الرباطات جمع الرباط وهي الثغور التي يتمركز بها المجاهدون لحراسة الحدود ومحاربة الأعداء ونشر الإسلام، كما ارتبطت بحركة التصوف لأن المرابطون كانوا متصوفة وزهاد.

[1] فريد شافعي: العمارة العربية في مصر الإسلامية ج1 ص 250، حسن الباشا : المدخل ص130

[2] عبد الرحيم غالب: المرجع السابق ص157

[3] Marçais, G,L'architecture Musulmane,pp300-301

[4] محمد نسيب، زوايا العلم والقرآن، دار الفكر، الجزائر، د س، ص30_ 31

صار مصطلح الزاوية أكثر شمولية إذ تطلق على بناء أو مجموعة من الأبنية ذات الطابع الديني تشبه الدير أو المدرسة وقد ذكر دوماس(Daumas) تعريفا جيدا للزاوية المغربية عام 1263 هـ/ 1844 م حيث يقول:" إن الزاوية هي على الجملة مدرسة دينية ودار مجانية للضيافة وهي بهذين الوصفين تشبه كثيرا الدير في العصور الوسطى[1]"

الزاوية في معظمها تتكون من مسجد وقبة الشيخ ومبيتا للطلبة الداخليين ومساكن للغرباء والفقراء، أما عمارتها جمعت بين هندسة المسجد والمنزل تتميز بحيطان قصيرة وقباب منخفضة ونوافذ قليلة ومسجدها غالبا ما يكون بدون مئذنة[2]، ويتفق هذا التعريف في جوهره مع المعنى الحالي للزاوية فهي تضم غرفة للصلاة بها محراب ضريح لأحد المرابطين أولي من الإشراف تعلوه قبة غرفة مخصصة لتلاوة القرآن وغرفا مخصصة لضيوف الزاوية وللحجاج والمسافرين والطلبة ويلحق بالزاوية عادة مقبرة لشيوخها أو للذين أوصوا في حياتهم بأن يدفنوا فيها.

انتشرت الزوايا بشكل واسع في المغرب الإسلامي خلال الفترة الممتدة ما بين القرن الخامس والثامن هجري وعرفت بعدة تسميات منها دار الكرامة عند الموحدين ودار الضيوف عند المرينيين والمعمرة في بلاد القبائل الجزائرية[3]

خلال العهد العثماني عرفت الزوايا في الجزائر تطورا ملحوظا في المدن والأرياف والجبال والصحاري حيث عاش المتصوفون ينشرون عقائدهم ويلقنون أتباعهم الأذكار ويعلمون العامة أصول الدين وإذا اشتهر أحدهم يؤسس مركزا يعلم فيه الدين ويستقبل الزوار يعرف المكان باسم زاوية سيدي (كذا) وإذا مات يدفن فيها ويصبح الضريح علامة على الزاوية وهي علامة على الضريح [4]

[1] أحمد الشناوي وآخرون، مادة الزاوية، دائرة المعارف الإسلامية، المجلد الثامن، دار المعارف، بيروت، د س، ص331_ 333

[2] محمد حمزة إسماعيل الحداد، موسوعة العمارة الاسلامية في مصر من الفتح العثماني حتى عهد محمد علي، ج 1،مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 1998،ص 118- 119

[3] عبد الله علام، الدولة الموحدية في المغرب في عهد المؤمن بن علي، القاهرة، 1971،ص 292-371

[4] أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي،ج1، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص 161 164

3-6.الأضرحة

الضريح بناء يضم رفات شخصية بارزة سلطان أو أمير أو رجل صالح أو إنسان له مكانة تدعو إلى تخليد ذكراه ويسمى أحيانا تربة أو مشهد أو مدفن وهو من الأماكن التي عني العرب المسلمون بعمارتها حيث يدفن فيها أولو الفضل من المسلمين وكان قبر النبي (صلى الله عليه وسلم) هو الدليل المادي على عدم كراهية بناء الأضرحة حيث دفن (صلى الله عليه وسلم) في حجرة السيدة عائشة (رضي الله عنها) والتي توفي فيها وقد أضيفت هذه الحجرة إلى المسجد في عهد الوليد بن عبد الملك كما زودت بقبة في عهد المماليك.

وتخطيط الضريح عبارة عن حجرة مقببة مستطيلة أو مربعة تحلى أركانها من الداخل بمقرصنات وشاعت القباب المخروطية في أضرحة العراق وإيران وقد تكون هذه الحجرة منفردة أو ملحقة بالمسجد أو بالمدارس أو ملاصقة لأي منهما وربما يكون الضريح سببا في إنشاء مسجد متعدد المآذن فخم البناء تحيطه البرك والحدائق.

ولم تعرف العمارة العربية حتى الآن أية أنواع من الأضرحة الأموية وقد يكون السبب في ذلك يرجع إلى علمهم بالحديث القائل: "خير القبور الدوارس" أو أن بني العباس لم يتركوا منها شيئا بعد أن آل الأمر إليهم وقد يكون ذلك هو ما أدى إلى خوف العباسيين من أن يفعل بقبورهم نفس الفعل لذلك قلت نماذج الأضرحة العباسية.

ومن أقدم الأضرحة التي وصلتنا قبة الصليبية بسامراء وضريح إسماعيل الساماني في بخاري سنة 707هـ وتاج محل في أكرا بالهند ومقابر الأئمة الزيدية في صعدة باليمن وقد حفلت مدينة القاهرة وصحراء المماليك بمجموعة كبيرة من الأضرحة [1]

4-عناصر ومكونات العمارة المسجدية

المسجد بالكسر اسم لمكان السجود والمسجد بالفتح جبهة الرجل حيث يصيبه السجود والمسجد بكسر الميم الخمره وهي الحصيرة الصغيرة، ويفسر الزركشي السبب في اختيار

[1] عبد الرحيم غالب: المرجع السابق 256 , محمد شفيق غربال : السابق ج2 ص 1143 , فريد شافعي : السابق ص 255 , 256 , حسن الباشا : المدخل ص132

كلمه مسجد لمكان الصلاة فيقول:"لما كان سجود اشرف أفعال الصلاة لقرب العبد من ربه اشتق اسم المكان منه فقيل مسجد ولم يقول مركع"[1]

والمسجد هو أول مكان عبادة في الدين الإسلامي انطلاقا من مسجد رسول الله "صلى الله عليه وسلم".

وضع المخطط الأساسي لبناء المساجد في تلك الفترة المبكرة من تاريخ الأمة الإسلامية فكانت المساجد الأولى بسيطة في تخطيطها تناسب شعائر الدين الجديد فهي قطعة أرض تحاط بأربعة جدران أو خندق سقفها من الجريد والطين يقام على أعمدة من جذوع النخل بتوسع الدولة الإسلامية وارتفاع عدد المسلمين أصبح من الضروري بناء مساجد واسعة وهي التي عرفت بالمسجد الجامع الذي أصبح من أهم معالم المدينة الإسلامية وكان الخليفة بنفسه أو من ينوب عنهم مؤهلا للإمامة المسلمين خصوصا يوم الجمعة والمسجد اكتسب صفه الجامع من اجتماع المسلمين فيه لأداء هذه الفريضة كما أصبح مصطلح جامع يطلق على كل المساجد الكبيرة [2].

بالنسبة للعمارة المسجدية فقد كانت نواتها الأساسية مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم الذي احتوى على العناصر الرئيسية وهي بيت الصلاة والصحن والمحراب والمنبر التي سوف يأتي تفصيلها مع مراعاة شروط أساسية تساعد على أداء الصلاة براحة وعلى الاستماع إلى الخطيب بيسر نذكر منها:

- الاتصال بين المصلين وتراص الصفوف.
- خلو صحن المسجد من الأعمدة التي تقطع صفوف المصلين.
- وجود جدار نافذ بين الصحن والحرم.

[1] محمد بن عبد الله الزركشي، أعلام المساجد بأحكام المساجد، تحقيق أبو الوفاء مصطفى المراغي، ط2 دار الكتاب المصري القاهرة،1989، ص 26 -27

[2] قصي الحسين، موسوعة الحضارة العربية، العصر الفاطمي والأيوبي، دار ومكتبة الهلال للكتاب، بيروت، 2005، ص 278 -279

- لا يكون الدخول إلى صحن المسجد مباشره.[1]

تطورت هذه العمارة مع توسع الفتوحات الإسلامية واحتكاك المسلمين بالروم والإيرانيين فأضيفت أجزاء أخرى كالمئذنة والعقود والزخرفة حيث نجد تخطيط المسجد مربعا في العراق وإيران لأن أماكن العبادة السابقة في المنطقة كانت مربعة الشكل ومستطيلا في شمال إفريقيا ومصر وبلاد الشام لأن الكنائس المسيحية في هذه المناطق كانت مستطيلة.

وكان للمعمار المسلم الحرية في ابتكاراته المعمارية فظهرت عدة أساليب في العمارة المسجدية منها الأسلوب الأموي والعباسي والمغربي والإيراني والمملوكي والعثماني[2] .

عمارة أي مسجد يجب أن تتوفر على عناصر أساسية توفرت في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم وهي بيت الصلاة الصحن القبلة المحراب والمنبر:

أ/ بيت الصلاة: عنصر أساسي العمارة المسجدية فيها توجد القبلة والمحراب والمنبر ظهرت مع مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم وهي عبارة عن جزء مسقوف من الصحن يقوم على عمد تحمل فوقها عقودا فوق هذه الأخيرة يقوم السقف تقسم بيت الصلاة بواسطة الأعمدة إلى أروقة عمودية تبدأ من المدخل الرئيسي للمسجد وتنتهي بجدار القبلة تعرف بالأساكيب جمع أسكوب وأخرى موازية لجدار القبلة تعرف بالبلاطات جمع بلاطه وعددها يحدد عمق بيت الصلاة أو ما يعبر عنه بالجوف غالبا ما يكون الرواق المؤدي إلى المحراب أوسع من باقي الأروقة ويعرف بالرواق الأوسط أو الرئيسي أو المجاز القاطع تكون بيت الصلاة في مساجد المغرب الإسلامي على أكبر مساحة ممكنة من المسجد مع إلغاء الأروقة الجانبية والخلفية في الصحن وهذا بسبب الظروف المناخية وكثرة تساقط الأمطار مقارنة مع المشرق الإسلامي.[3]

[1] فريد محمود شافعي، العمارة العربية الاسلامية ماضيها وحاضرها ومستقبلها، الرياض، 1982، ص 2-3

[2] حسن محمد نويصر، الآثار الاسلامية، ط 2 ،مكتبة زهراء الرق، القاهرة، 2004، ص 41 -43

[3] الزركشي ،مصدر سابق، ص 363 -364

ب/ الصحن:

هو ما يوجد داخل جدران المسجد من ثناء مكشوف يخصص للصلاة في مناسبات الصلوات الجامعة يشمل في بعض مساجد المشرق الإسلامي على أروقة جانبية وأخرى خلفية مثل المسجد الجامع لابن طولون بمصر تتقلص مساحته في المناطق الباردة وشديدة الحرارة.[1]

ج/ المحراب:

ورد في لسان العرب لابني منظور عده تعريفات للمحراب منها صدر البيت وأكرم موضع فيه والجمع محاريب وهو أيضا الغرفة وعند العامة هو الذي يقيمه الناس اليوم ليكون مقام الأمام في المسجد وهو أيضا ارفع بيت في الدار وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث عروه بن مسعود رضي الله عنه إلى قومه بالطائف فأتاهم ودخل محرابا له فأشرف عليهم عند الفجر ثم أذن للصلاة قال وهذا يدل على أنه غرفه يرتقي إليها.

المحراب القبلة ومحراب المجلس صدره وأشرف موضع فيه، أما محاريب بني إسرائيل فيقصد بها معابدهم التي كانوا يجلسون فيها [2] وقد ورد في القران الكريم لفظ محراب في قوله تعالى:"فخرج على قومه من المحراب"[3]

وجد المحراب منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم الذي وضع بيده الكريمة حجرا في جدار القبلة في مسجد قباء وفعل نفس الشيء أبا بكر الصديق وعمر بن الخطاب ليكمل الصحابة بناء المحراب لكن لم يذكر المؤرخون شكل هذا المحراب هل هو مجوف أو مسطح؟ وغالب الظن انه كان مجوفا لأنه الشكل الغالب في معظم المساجد وفي مختلف العصور ولأنه وظيفته تقتضي ذلك وما هو ثابت تاريخيا وجود المحراب المجوف في الجدار الجنوبي الخارجي لمبنى قبة الصخرة في بيت المقدس منذ 72 هـ/ 692 م.[4]

[1] فريد محمود شافعي،مرجع سابق،ص3

[2] ابن منظور ، مصدر سابق ،ج1 ،ص 747

[3] سورة مريم،الآية 11.

[4] فريد محمود الشافعي، مرجع سابق ،ص151

تنوعت إشكال المحاريب بين المسطح والمتوسط والتجويف والعميقة فكان المحراب المجوف في المسجد الجامع بدمشق إما مساجد العصر العباسي كانت محاربها على شكل نصف دائرة مكساة بالفسيفساء الرخامية او الزجاجية مع وجود زخارف حصية أو حجريه كما وجد المحراب المجوف على شكل هيئه حدوه الفرس لكن بشكل مصغر والبعض الأخر تميز بجوانب مسقطه على هيئة متكسرة أي يضيق عرضه كلما زاد عنقه أو ما يعرف بالمتعدد الإضلاع الذي كان منتشرا في عهد المرابطين.[1]

ونسجل أيضا وجود نوع أخر وهو المسطح الذي نلاحظه في الكهف الموجود تحت الصخرة في الحرم القدسي وفي جامع ابن طولون.

وقبة المحراب المجوف غالبا ما تكون على هيئة نصف قبيبة مزخرفة بزخرفة هندسية أو نباتية أو كتابية أو على شكل محارة مقلوبة مثل مسجد الأقمر بالقاهرة كما نجد محرابا فريدا من نوعه في مسجد قرطبة فهو محراب مجوف على هيئة محاره في الأعلى بها أروع النقوش تعتبر آية من آيات النحت والفن المعماري الإسلامي إما في العمارة العثمانية فقد انتشر أسلوب عمل طواقي المحاريب في صفوف مقرنصات[2] .

د/ المنبر:

لغة مشتق من النبر وهو العلو والارتقاء في الصوت وفي رسم الحروف خاصة والمنبر هو مرقاة الخاطب سمي منبرا لارتفاعه وعلوه اعتبر الأمير ارتفع فوق المنبر[3] .

ظهر المنبر لأول مرة في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم وهو عبارة عن ارتفاع في الأرض إلى جانب موضع المحراب بني بالآجر وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يجلس عليه وهذا ما يوحي أنه كان مساحة متسعة بقيت المناظر بهذا الشكل إلى عهد معاوية الذي صنع منبرا خشبيا من ست درجات ومقعد نقله معه في رحلته إلى مكة ومن

[1] محمد طيب عقاب ،لمحات عن العمارة والفنون الإسلامية في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1990 ،ص 84

[2] فريد محمود شافعي، مرجع سابق، ص 152 154

[3] ابن منظور، مصدر سابق، ج5، ص 189

المنابر الخشبية الكبيرة الحجم ما كان موجودا في مسجد قرطبة ثم يأتي منبر جامع عمرو بالفسطاط الذي وضع من قبل الخليفة الفاطمي الحاكم عام 405 هـ/ 1014 م

إلا أننا نجد صعوبة في تحديد تاريخ معين للمنابر أو الوقوف بدقة على تطورها إذا لم تكن هناك قرينة في صناعتها أو زخرفتها تدل على عصرها أو تعين تاريخ صناعتها ومن المنابر التي انتشرت أيضا المتحركة على عجلات التي توضع في مكانها في الصلوات الجامعة ثم تؤخر نحو الجدار أن لم تكن لها حاجة أو توضع في خزانة لها مثل ما هو موجود في المسجد الجامع بالإسكندرية وجامع الزيتونة بتونس ونجد أيضا من يقترح ضرورة القضاء على المنابر البارزة في بيت الصلاة وتحويلها من أثاث مسجدي إلى جزء من العمارة المسجدية كان تكون هناك شرفة في جدار القبلة يطل منها الخطيب إطلالة مباشرة على الناس[1] .

هـ/المآذن: لغة مشتقة من الأذان أي الإعلام عن وقت الصلاة وهي لم تكن معروفة أيام النبي صلى الله عليه وسلم حيث جاء في صحيح البخاري عن ابن عمر كان يقول:"كان المسلمون حين قدموا إلى المدينة يجتمعون فيتحينون الصلاة ليس ينادى لها تكلموا يوما في ذلك فقال بعضهم اتخذوا ناقوسا مثل ناقوس النصارى وقال بعضهم بل بوقا مثل قرن اليهود فقال عمر: أولا تبعثون رجلا ينادي بالصلاة؟ فقال الرسول صلى الله عليه وسلم يا بلال قم فنادي بالصلاة[2] .

منذ ذلك الوقت أصبح ينادى للصلاة من فوق أسطح عاليه ولقد اختلف العلماء في تحديد أصل المئذنة ومصدرها حيث يذهب البعض إلى أنها مشتقه من أبراج الكنائس أو أبراج الحراسة والمراقبة والبعض الأخر إلى الفنارات القديمة أو أبراج العبادة في الهند وبلاد الجزيرة والعراق وأول مئذنة في الإسلام هي التي شيدت من الحجر في جامع البصرة سنة 45 هـ/ 665 م.

[1] الزركشي، مصدر سابق ، ص 373 – 374

[2] محي الدين أبي يحيى بن شرف النووي، صحيح مسلم بشرح النووي،مكتبة الإيمان، القاهرة ،د س، ج2، ص 264

ثم الأربع مآذن التي كانت لجامع عمر بن العاص في الفسطاط عام 53 هـ/ 673 م

والتي عرفت بالصوامع ومصدر الاسم من الصوامع العالية التي كانت في المعبد الروماني في دمشق الذي سيد المسلمون مكانه المسجد الأموي واستعملوا صوامعه الأربعة كما أذن ثم تأتي أقدم مئذنة في المغرب الإسلامي والتي تعتبر النموذج الرئيسي الذي سار عليه تصميم المآذن في المغرب والأندلس هي مئذنة جامع القيروان بتونس التي يرجع تاريخها إلى 105 هـ/ 724 م أو 109 هـ/ 728 م وتتمثل أهميتها في أنها تعد أقدم شكل متكامل ما يزال يحتفظ بجميع أعضائه المعمارية الرئيسية من قاعدة وجوسق الوسط وجوسق علوي ثم القبيبه التي تغطيه فهي ترتفع حوالي 33 م ينتهي الجلسة الأول بشرفه تدور حول جوانبها الأربعة ويحيط بها دوره من الشرفات ذات رؤوس نصف مستديرة ونتجت الشرفة من عمل أضلاع الطابق الذي يعلو القاعدة أقل من أضلاع القاعدة التي ترتفع 19 م ثم تأتي شرفة ثانية حول الطابق العلوي أو الجلسة الذي يرتفع 5 م لتأتي شرفة ثانية تدور حول الطابق العلوي الأخير الذي يقل ضلعه عن الأسفل منه وهو يرتفع حوالي 7.50 م وينتهي بقبيبه تغطيه غالب الظن أن هذا الجوسق العلوي أعيد بناءه في العصر الحفصي عام 692 هـ/ 1294 م على نفس النمط واجهاتها غنية بمختلف الزخارف ويمكن القول أن سمعة القيروان طراز معماري محلي وليس لها أي صلة أو تأثير بالصوامع القديمة التي كانت في المعبد الروماني بدمشق مثلا.[1]

بناء المآذن يكون منفصلا أو مرتبطا ارتباطا غير عضوي ببناء المساجد على العكس بالنسبة لأبراج الكنائس التي الجزء لا يتجزأ من الكنيسة فهي ترتفع مباشرة من مستوى الأرض وبالتكوين المعماري الخاص بها لذلك كانت الأكثر عرضه للتهديم عند حدوث الكوارث خاصة الأجزاء العلوية منها وتخطيطها يقوم على قاعدة مربعة يعلوها البدن ثم يأتي الجوسق وهو الجزء العلوي من المآذنه في يقف المؤذن يعلوه قبة فوقها عمود به كرات

[1] فريد محمود شافعي ،مرجع سابق ،ص 155 159

معدنية أو ذهبية ينتهي بهلال أو نجمة وهلال داخل المئذنة نجد درج يتوسطه فراغ يقع بين الجدار الخارجي للمعدنة والدعامة المركزية التي تكون إما صماء كما هو الحال في مآذن المغرب الأوسط أو تشغلها غرف كما آذن الموحدين وقد يكون الدرج خارج المئذنة مثل ما هو الشأن في ملوية سمراء كما قد يكون لها درج مزدوج مثل ماء انفردت بهم آذنه جامع قرطبة وقد نجد بدل الدروس طريقا يدور حول المئذنة حتى القمة مثل مئذنة جامع المنصورة بتلمسان والكتيبية والرباط واشبيلية ليسقف الدرج بقبوات نصف إسطوانية أو متقاطعة وتحتوي المئذنة على شرفة أو أكثر يقف فيها المؤذن ارتفاع المئذنة يكون على حسب حجب المسجد فإذا كان صغير تكون متوسطة الارتفاع وإذا كان كبير تكون شاهقة الارتفاع مع مراعاة التناسب الهندسي في إشكالها من حيث طول القاعدة إلى ارتفاعها والذي يقدر ب 1/5 أي إذا كان طول القاعدة 5م يكون ارتفاعها 25 م.[1]

اختلفت مواد البناء المآذن حسب المناطق التي أقيمت فيها حيث بنيت بالحجر في الأندلس ومصر والشام وآسيا الصغرى وبعض مناطق العراق والطوب (الآجر) في بلاد المغرب والعراق أما مكان تواجدها فيختلف من مسجد إلى آخر فقد تكون في مقدمه المسجد أو مؤخرته أو على جانب منه أو في ركن من أركانه أما مستقلة عن صحن المسجد وبيت الصلاة أو ملتصقة بالجدار الخارجي وقد تكون واحدة أو متعددة ففي المشرق نجد أكثر من مئذنة في المسجد الواحد إما المغرب فمئذنة واحده[2] .

أدت المئذنة عدة وظائف زيادة عن وظيفتها الأساسية وهي الدعوة إلى إقامة الصلاة منها مراقبة وهداية السفن في البحار والقوافل في الصحراء وإرسال الأخبار واستقبالها والتنبيه إلى الأخطار بإشعال النيران ليلا والدخان نهارا كما عرفت بعدة أسماء منها المنارة والصومعة.

[1] عبد الكريم عزوق، القباب والمآذن في العمارة الإسلامية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1996 ،ص 54 –56

[2] زكي محمد حسن ، مرجع سابق ،ص 144

و/ القباب: هي عنصرها من عناصر العمارة الإسلامية في زخرفه وتصميم المنشآت المعمارية المختلفة عرفها المعماريون في آسيا ثم انتقلت إلى الفرس واليونان في الرومان أما المسلمون فمعرفتهم للقبة كانت تتجلى في شكل الخيمة المرفوعة بعمد خشبية وظهرت القبة في العمارة الإسلامية بعد فتره من ظهور الإسلام لجهل العرب طريقه إنشاء القباب بالطوب والحجر ولأنها طريقه التسقيف عندهم كانت تتمثل في الأسقف المستوية باستعمال الطوب والطين والخشب لهذا يمكن اعتبار قبة الصخرة التي شيدت في العصر الأموي عام 72 هـ/692 م أول قبة في الإسلام والتي كانت من تأثيرات بيزنطيه.[1]

وجدت القباب إمام المحراب في المساجد للتأكيد على أهمية المحراب مثل ما هو الشأن في محراب الجامع الأموي والمسجد الجامع بسوسه 236 هـ/ 851 م والمسجد الجامع بالقيروان 221 هـ/ 836 م ومسجد قرطبة 364 هـ/ 975 م كما توجد في أخر البلاطة المطلة على البهو كما هو الحال في جامع القيروان اثري زيادات التي أضافها الزيانيون وقد تكون في طرفي الرواق الأول المقابل لجدار القبلة بالإضافة إلى القبة التي تتقدم المحراب[2] .

في مصر وضعت قباب صغيره في أركان المسجد إضافة إلى قبة المحراب التي تكون كبيره واستعملت في تغطية أوريقة وايونات المساجد مثل ما هو الشأن في الجامع الأقمر الذي يعود إلى العهد الفاطمي ووضعت أيضا فوق أبواب القاهرة مثل باب الفتوح والنصر وزويله وفي العهد العثماني قاعه الصلاة كلها تغطى بالقباب لتأثرها بالعمارة البيزنطية وفي بلاد ما بين النهرين استعملت القباب في المساجد والقصور مثل قصر عمره 94 هـ 98 هـ/ 713 م717 م وقصر اخيضر 157 هـ 158 هـ/ 774 م 775م.[3]

[1] حسين مؤنس، المساجد ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،الكويت،1981،ص 120

[2] عبد الكريم عزوق ،مرجع سابق ، ص 9- 11

[3] صالح لمعي مصطفى، القباب في العمارة الإسلامية، دار النهضة العربية،بيروت، د س ، ص 19- 21

اتخذت القباب عدة أشكال تبعا لمظهرها الخارجي فهناك نصف الكره أو جزء من كره مدببه أو مخروطية أو بصلية أو مضلعة وتحتوي غالبية أشكال القباب على طنبور (رقبة) تنظم به النوافذ للإضاءة والتهوية ويعلو القبة في بعض الأحيان شكل الهلال أو الفانوس[1] .

توجد في مصر عدة أنواع من القباب تعود إلى العصر المملوكي منها قباب نصف كروية ومضلعة وأخرى بيضاوية وعرفوا أيضا القباب الخشبية المكسوة بالرصاص ذات الزخارف الجميلة مثل قبة الإمام الشافعي التي تعود إلى العصر الأيوبي سنه 608 هـ/ 1211 م ونفس الإشكال تقريبا عرفت ببلاد الشام إما بلاد فارس فأنتشرت بها القبة البيضية و البصلية وفي بلاد المغرب النصف كروية وفي بعض الأحيان البيضية مثل ما هو الشأن في الجزائر مع وجود نموذج خاص انتشر في الأندلس والجزائر وهو القبة التي تتكون من قشرتين الخارجية تكون على شكل هرمي مغطى بالقرميد إما الداخلية فتشيد بأقواس وضلوع رفيعة من الآجر أو الحجر مثل قبة جامع تلمسان التي توجد إمام المحراب فهي تقوم على قاعدة مربعة حولت إلى ملثما بواسطة حنايا ركنية غائرة مقرنصة تنفتح على الخارج بعقد مسنن منكسر تتشكل القبة من 12 ضلعا كل ضلعين من هذه الإضلاع تكون نهاية واحدة هي بمثابة عقود دقيقه متشابكة أدت إلى ظهور 24 ضلعا 12 منها ذات شكل مغزلي والباقي على شكل سهام مشعه من قمة القبة وكل ضلع يرتكز على طنف عبارة عن حلية معمارية محفورة على شكل ربع دائرة في وسط القبة وضعت قبيبه صغيرة مقرنصة القبة في مجملها عبارة عن تخريمات جصية مع نوافذ جاصية مخرمة في الرقبة تسمح ب مرور الضوء والهواء إلى داخل المسجد[2] .

في العصر العثماني انتشرت القباب النصف كرة غير كاملة والقباب المجتمعة أي قبة رئيسية تحيط بها قباب صغيرة أو إنصاف قباب يتم إنشاؤها انطلاقا من مسقط دائري أو مربع في حالة المربع يتوجب وتحويله إلى دائرة بإقامة مثلثات كروية في الأركان أو تعمل

[1] عبد الكريم عزوق ، مرجع سابق، ص 10

[2] عبد الكريم عزوق ،مرجع سابق ،ص 15- 16

حنايات في الأركان في منطقه الانتقال كما يمكن أن تقام القباب على مساقط مستطيلة فيكون شكلها الخارجي بيضاوي للانتقال من المربع إلى المثمن ثم الدائرة يتم استعمال المقرنصات في الأركان ليتم وضع الغطاء الخارجي للقبه التي يشكل إما من الطوب أو الحجارة أو الخشب وسطحها الداخلي يغطى بالجص المزخرف بأشكال هندسية أو نباتيه (ورقية) أو كتابية (آيات قرآنية أو نصوص تاريخية).[1]

ز/ المقصورة:

ظهرت بعد عصر النبي صلى الله عليه وسلم يرجعها الكثيرين إلى العصر الأموي خاصة في عهد معاوية بن أبي سفيان الذي اتخذها بعد توعد الخوارج له بالقتل ثم انتشرت في الكثير من المساجد حتى أصبحت جزء أساسيا منها وأول من استعملها في المغرب الإسلامي عبد المؤمن بن علي وهي بعدة أشكال حيث كانت في البداية مجرد حواجز خشبية تحيط بجزء صغير من المسجد عند جدار القبلة لها باب خاص إما في الجدار الملاصق لجدار القبلة أو في بيت الصلاة ثم تطورت حتى أصبحت غرفه قائمة بذاتها انتشرت بشكل واسع في العهد العباسي أشهرها التي أنشاها محمد الأموي الأندلسي في المسجد الجامع بقرطبة فهي عبارة عن غرفة صغيرة يمين جدار القبلة يدخل إليها من باب خاص في الجدار الأيمن للجامع والمواجهة لباب قصر الخلافة يتم الوصول إليها عن طريق جسر علوي من القصر إلى الجامع [2].

[1] صالح لمعي مصطفى، مرجع سابق، ص 11 -12

[2] الزركشي، مصدر سابق، ص 375

الفصل الثاني:

الدراسة الميدانية

1.المسجد العتيق بغرداية:

تعتبر المساجد من أهم سمات العمارة الإسلامية بشكل عام والعمارة الدينية بشكل خاص حيث أنه يمثل في العمارة المزابية قلب المدينة حيث أنه يقع في وسط المدينة على أعلى قمة للهضبة التي بنيت بها المدينة ومن حوله تلتف المباني الأخرى لتشكل لحمة واحدة لا يفرقها إلا الشوارع والأزقة ويكون كل ذلك محاط بالسور ومن أهم المساجد نذكر المسجد العتيق بغرداية المعروف أيضًا باسم "مسجد سيدي إبراهيم بن الأغلب"، هو أحد أقدم المساجد في مدينة غرداية، (انظر ملحق رقم06) الواقعة في وادي مزاب بالجزائر. يعتبر هذا المسجد من المعالم التاريخية والدينية الهامة في المنطقة محل الدراسة: **(انظر ملحق رقم 04-05)**

1.1. موقع المسجد:

يقع المسجد العتيق فوق قمة الهضبة التي تتدرج فوقها مباني غرداية وهو يوافق تاريخ تأسيس مدينة غرداية سنة 447 هـ/ 1053 م وهذا لأن أول ما يشيد عادة في المدينة الإسلامية هو المسجد يعد من أهم مساجد المنطقة وذلك لما تحمله من قيمة تاريخية وأثرية فلقد شيد المسجد في منتصف القرن الخامس هجري، ويُنسب تأسيس المسجد إلى الشيخ إبراهيم بن الأغلب، وهو شخصية دينية بارزة في ذلك الوقت[1] .

بمرور الزمن شهد الجامع العتيق بغرداية ترميمات وإصلاحات وتوسيعات غيرت من شكله وتصميمه ولكنها لم تمس كثيرا الطراز المعماري[2] .

2.1. المخطط العام:

يتكون الجامع العتيق بغرداية من جزئين أحدهما يمثل الجامع سابقا والآخر يمثل الإضافات إلى غاية السبعينات من القرن 20 وأثناءها قام «مكتب الدراسات المعمارية

[1] بلحاج معروف، مرجع سابق، ص92-93

[2] MERCIER M;La civilisatione urbain au M'Zab, Alger 1922,pp18-19

وترميم أبنية سهل واد ميزاب غرداية (الواحات)» بوضع تصميم تقني شامل ومفصل لأجزاء الجامع **(انظر ملحق رقم 06)**

ولتيسير وصف الجامع والتطرق إلى مراحله وأجزائه المختلفة تطلب رسم المسقط الأفقي وفق ما تقتضيه الدراسة:

أ/ مخطط الجامع سابقا:

ظهر الجامع على شكل غير منتظم عمقه أطول من عرضه إذ يبلغ طوله 27 م وعرضه 22.5 واشتمل على:

- قاعة صلاة مستطيلة الشكل عمقها 7 م وعرضها 14 م تحتوي على محراب مجوف وأربع بلاطات (أروقة) موازية لحائط القبلة تنحصر بين ثلاثة صفوف من الدعائم والعقود وتقاطعها سبع بلاطات(أروقة) عمودية تنحصر بين ستة صفوف من الدعائم والعقود ولها ثلاث مداخل وهي في مقدمة الجامع وبجزئه الأسفل وتوجد فيها حجرة بالزاوية الجنوبية طولها 4 م وعرضها 3 م**(انظر ملحق رقم 09)**
- صحن مكشوف مربع التخطيط مقاساته 6 م × 6 م وهو يتوسط الجامع على الحائط الغربي لقاعة الصلاة ويحيط بالصحن رواق من ثلاث جهات فمن الناحية الشمالية يبلغ طوله 6.5 م وعرضه 5 م يحتوي على ثلاث بلاطات موازية للقبة وبلاطتين عموديتين ومن الناحية الغربية فلا يحتوي على بلاطات ويبلغ طوله 18 م وعرضه 2.5 م ومن الناحية الجنوبية يبلغ طوله 9 م وعرضه 5 م ويحتوي على ثلاث بلاطات موازية للقبلة وأربع بلاطات عمودية ويدخل إلى هذا الصحن من أربع جهات **(انظر ملحق رقم 15-16)**
- المئذنة وسلم وقاعة كبيرة طولها 8 م وعرضها 7 م بأربع بلاطات موازية للقبلة وثلاث بلاطات عمودية ويقع كل ذلك في مؤخرة الجامع.

ب/ تخطيط الجامع الموسع:

أخذ الجامع شكل مثلث غير منتظم يبلغ طول ضلعي من جهة القبلة 44 م ومن ناحية الشمال 37 متر والضلع الثالث غير منتظم طوله 61 م أما الجدران فيبلغ سمكها 43 سم ولقد بنيت بالحجارة الجص وعليها ميلاط الجص وهي مواد بناء محلية ميزت عمران المنطقة كلها[1]. **(أنظر ملحق رقم 10)**

تتجه قاعة الصلاة نحو الشرق وهي تتقدم الجامع تخطيطها شبه مستطيل غير منتظم يبلغ عمقه 16 م وعرضه 38 متر ويصل ارتفاعها إلى 2.5 متر تنقسم قاعة الصلاة إلى قسمين أحدهما سابق والآخر مستحدث يميز بينهما محراب سابق فالقسم السابق مستطيل الزوايا يحتوي على ثلاث بلاطات (أروقة) موازية لحائط القبلة عرض كل واحدة منها 1.5 م وتنحصر بين صفين من الدعائم والعقود وتقاطعها 12 بلاطة عمودية وعرض كل واحدة منها 2 م وتنحصر بين 11 صفا من الدعائم والعقود.

أما القسم المستحدث فيبلغ عرض كل رواق فيه 2 م وهو يتميز بجزئين أحدهما معقود يشتمل على أربع بلاطات موازية لحائط القبلة وتنحصر بين ثلاثة صفوف من الدعائم والعقود وتقاطعها 11 بلاطة عمودية تنحصر بين عشرة صفوف من الدعائم والعقود وهي غير متساوية الأطوال.

أما الجزء الثاني من هذا القسم فلا تعلوه عقود وهو يشتمل على خمسة أروقة موازية لحائط القبلة بما فيها رواق المحراب وهي تنحصر بين أربعة صفوف من الدعائم وتقاطعها ثمانية أروقة عمودية تنحصر بين سبعة صفوف من الدعائم وهي غير متساوية الأطوال كذلك.

[1] بورويبة الدكالي،المساجد في الجزائر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1970،ص 92- 93

PAVARD Claude: L'umiéres du M'Zab, S. N. E. D. Alger 1973,p 88-89

وتحتوي قاعة الصلاة على أربعة أبواب يبلغ عرض كل واحد منها 0.80 م وارتفاعه 1.80 م يوجد باب منها في الناحية الشمالية يفضي إلى الميضأة بينما توجد ثلاثة أبواب أخرى في الجهة الغربية تفتح على الصحن.

3.1. مراحل توسعة المسجد العتيق:

وقد مرت على المسجد عدة مراحل حتى وصل إلى حالته الحالية وبالرغم من عدم تحديد دقيق لسنة التوسعة إلا أنه من المؤكد وجود وثائق وعقود بيع وهبة للمنازل المجاورة له وهذه المراحل هي[1] :

- **التوسعة الأولى:** في بداية القرن 13 م ويتمثل في بناء غرفة لتسخين الماء ومئذنة ثانية هي المئذنة الكبيرة وفتح مدخل بالجهة الغربية
- **التوسعة الثانية:** في عهد الشيخ عمي سعيد وفي القرن الخامس هجري تم توسعة بيت الصلاة من الجنوب والجنوب الغربي.
- **التوسعة الثالثة:** ومن المرجح أن تكون في القرنين الماضيين وتمت بناء ميضأة بالقرب من المدخل وتوسيع بيت الصلاة من الجنوب الشرقي والجنوب الغربي
- **التوسعة الرابعة:** وكانت سنة 1986م وتم إضافة الممر المسقف والجزء الشمالي الشرقي إلى بيت الصلاة.

وهاته التوسعات راجعة إلى تطور المسجد واتساعه ومن أهم مكوناته نجد:

ـ **الصحن:** يتوسط الجامع على الحائط الغربي لقاعه الصلاة صحن مكشوف وهو مستطيل الزوايا عمقه اقل من عرضه حيث يبلغ عمقه 6 م وعرضه 13 م.

يتم الدخول إلى صحن المسجد عن طريق مدخلين رئيسيين الأول يقع في الجدار الشمالي وعرضه 1.65 م وارتفاعه 2.55 م ويشتمل هذا المدخل على باب خشب دفتين **(انظر ملحق رقم07)** والمدخل الثاني يقع في الجدار الشمالي غربي وبعده تجد ممر طوله 5 م

[1] ديوان حماية واد ميزاب وترقيته، مرجع سابق، ص 10

يحتوي على مدخل المئذنة ومدخل المحضرتين مخطط الصحن شبه منحرف تحيط به الأروقة من كل الجهات باستثناء القبلة **(أنظر ملحق رقم08)** تقوم دعامات وأعمدة بحمل سقوف هذه الأروقة ويرجح علماء الآثار أن هذه الأعمدة مضافة خلال فترات الأخيرة فقط وذلك راجع لأن المسجد في العمارة المزابية يبنى بالدعامات فقط وكذلك يتبين من خلال السور القديمة للمسجد[1] .

يتوسط جدار القبلة في الجزء المكشوف من الصحن فتحتا المحراب اللتان تنتهيان في أعلاهما بحنية معقودة بعقد نصف دائري ولا يوجد أي أعمده تكتنف المحارب أو هذا ما يدل على أن الأعمدة ليست قديمة في المسجد ورغم التوسعات الكثيرة فإن المحاريب لم تهدم وذلك نابع من الفقه الإباضي بحيث نجد أربعة محاريب في بيت الصلاة،

ولقد كانت تشكل بروزا نحو الخارج، تتكون بيت الصلاة من عدد كبير من الدعامات والتي يوجد بينها العقود حدودية أو نصف دائرية، ولقد كانت توضع على الدعامات المصابيح الزيتية للإنارة على رفوف ولكنها طمست.

المئذنة: يوجد بالمسجد العتيق بغرداية مئذنتان متجاورتان**(انظر ملحق رقم08)** الأولى صغيرة الحجم وقليلة الارتفاع تقع في الجهة الشمالية الغربية على محور المحراب وتبدأ في الارتفاع ابتداء من سطح المسجد وهي بشكل هرمي (شبه مخروطي) بلغ ارتفاعها 4.50 م يتم الدخول إليه عن طريق باب خشبي مصنوع من جذع النخيل وهي متكونة من الداخل من سبع درجات وتنتهي من الأعلى بجوسق مغطى بقبيبة والثانية كبيرة الحجم وذات ارتفاع شاهق وموقعها في الجهة الشمالية الغربية من المسجد وتكون على يمين من يدخل من المدخل الشمالي الغربي، تتألف من قاعدة ذات شكل مربع يميل إلى شبه منحرف وتميل واجهتها الأربع إلى الداخل بشكل انسيابي يضيق مربع المئذنة من الأسفل إلى الأعلى وهي

[1] بلحاج معروف، مرجع سابق، ص 95

بسيطة سميكة الجدران يبلغ سمك الجدار في الأسفل 1 م أما في الأعلى فيقل إلى 30 سم وبلغ علوها 24.50م يعود تاريخ بناءها إلى 889 929 هـ/ 1484- 1521 م

تنتصب المئذنة في الركن الشمالي الغربي من الجامع وتظهر على شكل هرمي مقطوع ببدن واحد ذي قاعدة مربعة ومكلل بشرفة تتوجها رؤوس في الزوايا الأربع **(انظر ملحق رقم 12)**.

_ الزخرفة: لم تعرف الزخرفة طريقها إلى الجامع منذ التأسيس وبقيت للهندسة المعمارية الأصيلة على حالها من البساطة ولكنها متميزة بالمهارة والعظمة ومؤثرة بدقة الانسجام وبراعة الجمال[1] .

لقد عرف المذهب الإباضي بأسلوب الشدة والصرامة والزهد وخاصة عمارة الجامع الذي هو بيت العبادة ويعبر عن التقوى والخشوع وحتى واجهات الجامع لا تزينها الزخرفة ما عدا النوافذ المعقودة التي تكون على هيئة زخرفة جميلة تكسر فراغ الجدران وشريط القرميد الذي يحلي أعلاها.

2. النمط المعماري للمسجد العتيق

_ملحقات المسجد: نجد بيت الصلاة للنساء ويقع تحت البلاطات الأولى لبيت الصلاة ومدرستا بلحسن والساسي وليس هناك تاريخ محدد لتشييد المدرستين أيضا نجد بيت الوضوء والذي شهد عدة تغييرات أخرى كان إعادة بناءه سنة 1983م.

_السطح: يتم الصعود إليه عن طريق سلمين ويشتمل السطح على فضاءات مغطاة تستغل لتخزين التمور الواردة من الأوقاف والحبوس كما تعقد به جلسات وحلقات العزابة به وفي الصيف يكون للصلاة أيضا.

[1] ظهور أهمية الطراز المعماري في المساجد المغربية الأصيلة انظر: حسين مؤنس، المساجد، علم المعرفة، الكويت، 1981، ص 214-233

قاعة أولى داخلية:

تحتل الزاوية الجنوبية الغربية من قاعة الصلاة وهي ذات شكل رباعي الأضلاع منحرف يبلغ متوسط مقاستها 8×8م ولها مدخل من الخارج وتستعمل هذه القاعة للدراسة والتعليم.

حجرة: تقع إلى الزاوية الشمالية الغربية بخارج الصحن ولها مدخل من الصحن وهي مستطيلة التخطيط يبلغ عمقها 4 متر وطولها 7 م.

قاعة ثانية خارجية: توجد خارج الجامع من الجهة الغربية وتخطيطها مربع الزوايا منتظم إذ يبلغ عمقها 7.4 م وعرضها 7 م لها مدخل من ناحية المئذنة ويفصل هذه القاعة عن الصحن ممر يبلغ عرضه 3 م وطوله 25 م كما يفصلها عن المئذنة ممر يبلغ عرضه 1.5 م وطوله 8 م.

الميضأة: تحتل الميضأة الركن الشمالي الشرقي لقاعة الصلاة وهي ذات تخطيط غير منتظم يبلغ عرضها 9 م وطولها 12 م وبنيت على مستوى منخفض ويفضي إليها من مدخلين أحدهما نحو الخارج والآخر نحو قاعة الصلاة.

وسائل الدعم:

أ/ الدعائم المربعة[1] :

يعتمد السقف والعقود في قاعة الصلاة على دعائم مربعة الزوايا وهي تتوزع على النحو التالي:

_ في مؤخرة قاعة الصلاة وهو الجزء السابق في البناء تقوم ثلاثة صفوف منتظمة من الدعائم موازية لجدار القبلة تشتمل في كل صف منها على 11 دعامة يبلغ عرض أضلاعها 0.43 متر×0.43م وارتفاعها 1 م.

[1] كلود بافار، أضواء مزاب، ص104-105

في الجزء المحصور بين المحرابين القديم والجديد تقوم أربعة صفوف منتظمة من الدعائم موازية لجدار القبلة تشتمل في كل صف من الثلاثة الأمامية على خمس دعائم وسبع دعائم في الصف الرابع الخلفي وهي بنفس الأطوال كالسابقة. **(أنظر ملحق رقم 13- 14).**

_ الجزء الجنوبي من قاعة الصلاة وهو آخر إضافة للجامع تقوم أربعة صفوف من الدعائم موازية لجدار القبلة وهي تقابل الصفوف السابقة وتحتوي على سبع دعائم في كل صف من الصفين الأماميين وسد دعائم في الصف الثالث خلفهما وخمس دعائم في الصف الرابع بالمؤخرة يبلغ عرض أضلاعها 0.48 م×0.30م وارتفاعها 1م وجميع الدعائم تعلوها أكتاف ولا تتوجها تيجان.

ج/الدعائم الحائطية: تظهر في قاعة الصلاة أربع دعائم حائطية من الناحية الغربية بجدار الميضأة ويبلغ نتوؤها0.20م وعرضها يساوي عرض الدعائم المقابلة لها.

ولقد بنيت الدعائم جميعها بنفس مواد البناء التي بني بها الجامع.

الدعائم المضلعة:

لرفع العقود والسقف تقوم في أروقه الصحن دعائم على شكل أعمدة ذات 12 ضلعا يبلغ محيطها 1.20 م وارتفاعها 1.80 م بما فيها القواعد والأكتاف وبنيت بالحجارة والجص وملاطها كذلك من الجص ويبلغ عددها 18 دعامة وهي تتوزع على أكثر من أربع صفوف منتظمة منها صفان عموديان للقبلة بثلاث دعائم لكل صف في الايوان الشمالي وصف موازي للقبلة بثلاث دعائم في الإيوان الغربي وصف عمودي للقبلة بثلاث دعائم وست دعائم أخرى مبعثرة في الايوان(الرواق) الجنوبي.

د/ القواعد: لا ترتكز الدعائم في قاعة الصلاة على قواعد باستثناء الدعائم أروقة الصحن التي ترتكز على قواعد مربعة الزوايا يبلغ عرضها 0.50 متر وارتفاعها وكذلك 0.50م **هـ/ الأكتاف:** لا توجد التيجان بين الدعائم والعقود وإنما على رؤوس جميع الدعائم بنيت أكتاف تتفرع نحو الأعلى لحمل العقود ويبلغ ارتفاعها 0.25 م**(انظر ملحق رقم 16)**

و/العقود:

لحمل السقف وعلى دعائم قاعة الصلاة تعلوها عقود نصف دائرية يبلغ ارتفاعها 0.90 متر وعلى دعائم أروقة الصحن تعلوها عقود منخفضة يبلغ ارتفاعها 0.50 م

ما عدا في الجزء الجنوبي من قاعة الصلاة وهو آخر إضافة للجامع فبدل العقود بنيت جدران علوية لتكون قواعد السقف الخشبي[1] يبلغ ارتفاعها 0.90 م.

القباب والسقف:

إن أروقة الصحن وقاعة الصلاة تغطيها قباب نصف كروية تنتقل من المنطقة المربعة إلى الرقبة الاسطوانية مباشرة بواسطة ركنيات غير بارزة ثم القبة المستديرة وكل قبة تساوي أطوالها البائكة التي تعلوها.

ما عدا الجزء الجنوبي من قاعة الصلاة الذي لا تتوفر فيه العقود فسقفه من الخشب حيث سطح هذا الجزء يستقبل المصلين في أيام الصيف الحارة في صلوات الفجر والمغرب والعشاء.

المحاريب:

وجد في الجامع سابقا محرابان أحدهما في قاعة الصلاة والآخر في الصحن حيث كان كذلك يستعمل للصلاة في أوقات الحر وبعد توسيع قاعة الصلاة أصبحت تضم محرابين أحدهما قديم والآخر جديد.

المحراب القديم: يتوسط قاعة الصلاة ويفصله عن حائط مؤخرته ثلاث بلاطات وهو مجوف ويتجه نحو الشرق وكوته نصف اسطوانية معقودة بعمق 0.90 م وعرض 0.80 م وارتفاع 1.70 م وتنقسم كوة المحراب إلى قسمين: قسم أعلى وآخر أسفل فالقسم العلوي تكلله نصف قبة ويبلغ ارتفاعه 0.57 م إما القسم السفلي فيبلغ ارتفاعه 1.13 م ويظهر القسمان أملسان يقصلهما ملاط الجص.**(انظر ملحق رقم 21)**

[1] المساجد في الجزائر، مرجع سابق، ص 95

المحراب الجديد: يتوسط جدار القبلة وهو مجوف ويتجه نحو الشرق وكوته نصف اسطوانية معقودة بعمق 1 م وعرض 0.96 م وارتفاع 1.75 م وتنقسم كوة المحراب إلى قسمين: قسم أعلى وآخر أسفل فالقسم العلوي تكلله نصف قبة ويبلغ ارتفاعه 0.43 متر أما القسم السفلي فيبلغ ارتفاعه 1.32 م وتزين المحراب حشوة تحيط بكل الاطار بينما يظهر الملاسة على كل المحراب الذي يقصله ميلاط الجص.**(انظر ملحق رقم 22)**.

وخلو المحراب من أي زخرفه يعود الى البساطة والتقشف والابتعاد عن كل ما قد يشغل المصلي عن الخشوع في عبادته وروعي ذلك في جميع أجزاء الجامع ومن ذلك أيضا عدم وجود المنبر في الجامع.

3.الدراسة التحليلية للمسجد العتيق

1.3. للتصميم الخارجي للمسجد:

أ. البنية الهيكلية:

- **الشكل العام:** يمتاز المسجد بتصميم بسيط ومستطيل الشكل، يتناغم مع البيئة الصحراوية المحيطة به.

- **المئذنة:** المئذنة ذات قاعدة مربعة ومكونة من طوابق عدة، وهي تتميز بارتفاع متوسط يتناسب مع حجم المسجد. تصميمها بسيط يخلو من الزخارف المعقدة.

- **الأقواس:** يستخدم نمط الأقواس بكثرة، خاصة في المداخل والنوافذ، مما يضفي طابعًا معماريًا تقليديًا وجماليًا على البناء.

2. الواجهات والجدران:

- **البساطة والصلابة:** تتميز الواجهات والجدران بالبساطة والصلابة، مع فتحات صغيرة للنوافذ لتقليل دخول الحرارة الشمسية.

- **التناسق:** تم بناء الجدران بشكل متناسق ومتوازن، مع مراعاة تماسك الهيكل ومتانته لمقاومة الظروف المناخية القاسية.

2.3.بالنسبة للتصميم الداخلي:

أ/. قاعة الصلاة:

– **المساحة:** قاعة الصلاة واسعة، خالية من الأعمدة الوسطية، مما يوفر مساحة مفتوحة للمصلين.

– **القبلة والمحراب:** يحتوي المسجد على محراب بسيط ومحدد بدقة يشير إلى اتجاه القبلة، مزخرف بزخارف خفيفة تبرز الطابع التقليدي.

ب/ التفاصيل المعمارية الداخلية:

– **الأقواس والقناطر:** تستخدم الأقواس والقناطر بكثرة داخل المسجد، خاصة في تصميم المداخل الداخلية والمحراب، مما يضفي جمالاً إضافيًا على البناء.

– **الأرضية والجدران:** تُغطى الأرضية بالسجاد التقليدي، بينما تكون الجدران مطلية باللون الأبيض أو مغطاة بالجبس للحفاظ على البرودة.

ج/ مواد البناء

1. الطوب الطيني:

– **الخصائص:** يُستخدم الطوب الطيني المصنوع محليًا في بناء الجدران، وهو مادة تقليدية توفر العزل الحراري الممتاز وتحافظ على برودة الداخل.

– التصنيع: يُصنع الطوب يدويًا ويُجفف تحت أشعة الشمس، مما يجعله مادة بناء مستدامة وصديقة للبيئة.

2. الجبس والجير:

– **التطبيق:** يُستخدم الجبس والجير في تغطية الجدران والأسقف، مما يوفر طبقة حماية إضافية ضد التآكل والتلف.

– **الجمالية:** يمنح الجبس والجير الجدران مظهرًا ناعمًا وأبيضًا يعكس الضوء، مما يزيد من الإضاءة الداخلية.

3. الأخشاب المحلية:

- **الاستخدام:** تُستخدم الأخشاب المحلية في تسقيف المسجد ودعم الهيكل الداخلي، وأحيانًا في الأبواب والنوافذ.

- **المتانة:** توفر الأخشاب المتانة المطلوبة وتساهم في جمالية التصميم الداخلي.

د/ التأقلم مع البيئة

1. العزل الحراري:

- **الجدران السميكة:** تُبنى الجدران بسمك كبير لتوفير العزل الحراري الطبيعي، مما يحافظ على برودة الداخل في الصيف ودفئه في الشتاء.

- **الفتحات الصغيرة:** تُصمم النوافذ والفتحات بحجم صغير لتقليل دخول الحرارة والشمس، مع توفير تهوية طبيعية للمسجد.

2. الظل والتهوية:

- **التصميم المتكيف:** يعتمد التصميم على توفير أماكن مظللة ومساحات مفتوحة تتيح تدفق الهواء الطبيعي، مما يساعد في الحفاظ على درجة حرارة معتدلة داخل المسجد.

- **التبريد الطبيعي:** تُستخدم تقنيات التبريد الطبيعي مثل النوافذ المتقابلة والأفنية الداخلية لضمان تهوية جيدة وتدفق هواء مستمر.

هـ/ الأهمية الثقافية والدينية

- **الدور الديني:** يعد المسجد العتيق مكانًا مركزيًا للصلاة والتعليم الديني في غرداية، حيث يجتمع فيه السكان المحليون لأداء الصلوات الخمس وصلاة الجمعة.

- **الأنشطة الاجتماعية:** يلعب المسجد دورًا مهمًا في الحياة الاجتماعية للسكان، حيث يُستخدم كمكان للاجتماعات والمناسبات الدينية والاجتماعية.

-**الاهتمام الثقافي:** تم تصنيف المسجد كجزء من التراث الثقافي لمنطقة وادي مزاب، ويحظى باهتمام كبير من قبل السلطات المحلية والمنظمات الثقافية.

كما تشهد مختلف الفضاءات المكونة للمسجد حركة دؤوبة، حتى خارج أوقات الصلاة. وخلافا للمساجد الأخرى في العالم، يمتلك المسجد ميزة خاصة جدا في وادي ميزاب، حيث أنه يخلو من أية زخارف وعناصر تزيينية غير ضرورية.

خاتمة

خاتمة:

يُعد المسجد العتيق بغرداية رمزًا تاريخيًا وثقافيًا ودينيًا هامًا في منطقة وادي مزاب. يمتاز بتصميمه المعماري البسيط والجميل الذي يعكس التراث المحلي العريق. لعب المسجد على مر العصور دورًا محوريًا في حياة المجتمع، ليس فقط كدار للعبادة، ولكن أيضًا كمركز للتعليم والتجمع الاجتماعي. بفضل جهود الصيانة والترميم المستمرة، يظل المسجد العتيق شاهدًا حيًا على تاريخ وثقافة المنطقة، وجاذبًا للزوار والسياح الذين يتوافدون للاستمتاع بجماله واستكشاف تاريخه العريق. يعزز المسجد العتيق بفخر الهوية الثقافية والدينية لغرداية، ويبقى جزءًا لا يتجزأ من تراث الجزائر الغني والمتنوع.

فقد حافظ الجامع العتيق بغرداية عند تأسيسه على الأصول الإسلامية إلى حد ما، مما أضفى على الطراز المعماري أصالة خاصة وجعله يتطور داخل نطاق الخصائص المميزة لكل جزء من أجزاء المبنى حسب ما تقتضيه معطياتها وظروفها.

وقد تبين من خلال إجراء الدراسة النظرية والدراسة الميدانية والنتائج المتوصل إليها أن العمارة الدينية في واد ميزاب تعتبر جزءاً مميزاً من التراث الثقافي والمعماري لمنطقة مزاب في الجزائر. تتسم هذه العمارة بالبساطة، الوظيفية، والانسجام مع البيئة الصحراوية القاسية، كما تمثل العمارة الدينية في واد ميزاب نموذجاً فريداً يعكس التفاعل بين الإنسان وبيئته، والقيم الدينية والاجتماعية لمجتمع الإباضية. إنها ليست فقط مكاناً للعبادة، بل هي أيضاً تعبير عن الهوية الثقافية والتراثية العريقة لهذه المنطقة.

الجامع العتيق بغرداية أو المسمى الجامع الكبير يمثل عقيدة دينية وأسلوب مجتمع ونمط عمارة فشيد بأبسط الوسائل المحلية والمتاحة في المكان كالحجارة والجص وجذوع النخل وجريده وسعفه، وذلك ليس نقص في المادة لكن هناك اقتصاد في التكاليف وبساطة في الأشكال والتزام البناة بمبادئ الإسلام، حيث أقيم الجامع على جدران سميكة لتلطيف حرارة الصيف المحرقة ويتوسطه الصحن ليدخل من خلاله الهواء والضوء ويلطف برد الشتاء

الجاف ويعتبر كل شيء في الجامع على مقدار حجمه المقصود حيث تتوزع الدعائم على مسافات تتلائم مع حركات المصلين وأوضاعهم تلك هي القواعد التي قام عليها المبنى.

كما أن النمط المعماري للجامع العتيق بغرداية نمط بسيط ولكنه يعبر عن إسلام صاف خالي من البذخ وكثرة التكلف والتفنن في البناء والزخرفة وهو طراز يقتصر على الحد الأدنى من عناصر عمارة المساجد باعتبار أن منطقة وادي ميزاب صحراوية وهي مركز المذهب الإباضي بالجزائر تعتبر من أكثر المناطق أصالة ودلالة على الشخصية الإسلامية ففيها تقوم المساجد البسيطة الأصيلة التي تعتبر نمطا خاصا من أنماط المساجد الإسلامية ورغم الترميمات وإعادة بناء المساجد والتوسيع إلا أنها ظلت محتفظة بهيئتها البسيطة التي ترجع إلى العصور الإسلامية الأولى على غرار مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة ومن هذه الناحية فهي مساجد رائعة تسكن النفس بهيئتها وبساطتها ورغم أن عمارة الجامع العتيق بغرداية لم تكلف الكثير من التفنن في البناء إلا أنها رائعة بهيئتها وبساطتها وهي الميزة التي اختصت بما يلي:

_ التركيز على قاعة الصلاة والاهتمام بتخطيطها وإضافة الصحن.

_ تمييز الجدران بالسمك ولغشائها بطبقة سميكة من ملاط الجص.

_ جعل العقود نصف دائرية أو منخفضة وتقوم على دعائم من الحجارة.

_ تسقيف قاعة الصلاة والايونات بالقباب المنخفضة وأخشاب النخيل.

_ تجويف المحراب وتبسيطه وإهمال جميع أشكال الزخرفة.

_ بناء المئذنة على هيئة برج ببدن مربع مرتفع سميك الجدران وينتهي بشرفة.

وفي الأخير نتمنى أن تكون هذه الدراسة إضافة للدراسات الأثرية المتعلقة بالعمارة الدينية بالجزائر وخاصة منطقة غرداية، كما أن تكون مرجع يستفيد به من حقل البحث العلمي، كما أتمنى أن أكون قد وفقت في تناول هذا الموضوع وإعطائه ما يستحق، فإذا

وفقت فبفضل الله عزوجل وأن أخطأت فمن نفسي وأدعو من الله أن يثبتني على جهد المحاولة والله ولي التوفيق.

قائمة

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

المصدر:

1. ابن منظور، **لسان العرب**، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، 1993
2. أبو القاسم سعد الله **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج1، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985،
3. عبد الرحمان بن خلدون، **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربريون ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ج 7، دار الفكر، 1421-2000،

المراجع (الكتب)

4. أحمد الشناوي وآخرون، دائرة المعارف الإسلامية، المجلد الثامن، مادة الزاوية، دار المعارف، بيروت، د س،
5. أحمد فؤاد باشا، **التراث العلمي الإسلامي**، ط1، دار المعارف، القاهرة 1983،
6. اداود أبو بكر وبو سنان عيسى، **تثمين وإعادة تأهيل القصر القديم بابا السعد- غرداية-**، مذكرة تخرج لنيل شهادة مهندس دولة في الهندسة المعمارية، جامعة عمار ثليجي، الأغواط، 2011.
7. بكير بن سعيد أعوشت، **وادي ميزاب في ظل الحضارة الاسلامية دينيا و تاريخيا و اجتماعيا**، المطبعة العربية، غرداية ، سنة 1991
8. بلحاج بن بنوح معروف، **العمارة الإسلامية مساجد مزاب ومصلياته الجنائزية**، دار قرطبة،ط1, الجزائر،2007
9. بلقاسم دحماني، **العمارة والعمران ببلاد المغرب في القرنين الخامس والسادس هجري، من خلال كتاب القسمة وأصول الأرضيين (قصور سهل وادي مزاب انموذجا)**، مذكرة لنيل شهادة الماستر في علم الآثار، جامعة الجلفة، سنة 2018-2019،
10. بن زكري حمو، **إنشاءات الري التقليدية بمنطقة وادي ميزاب (قصر غرداية نموذجا)**، مذكرة ماجستير في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر،2015/2014

11. بورويبة الدكالي،**المساجد في الجزائر**، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1970،

12. ثروت عكاشة، **القيم الجمالية في العمارة الإسلامية**، دار المعارف، القاهرة،1981،

13. جمعية التراث، **معجم أعلام الإباضية**، ج1، طبعة عربية، غرداية، 1990،

14. حسن الباشا : **موسوعة العمارة والآثار** والفنون، الدار المصرية اللبنانية،1999

15. حسن محمد نويصر، **الآثار الإسلامية**، ط 2 ،مكتبة زهراء الرق، القاهرة، 2004،

16. حسين مؤنس، **المساجد** ، عالم المعرفة ،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت،1981

17. زكي محمد حسن، **فنون الإسلام**، دار الرائد العربي بيروت، 1981

18. سيغريد هونكي، **شمس العرب تشرق على الغرب**، ط8، دار نيوهورايزن، بيروت 1993،

19. صالح لمعي مصطفى، **القباب في العمارة الإسلامية**، دار النهضة العربية، بيروت، د .س.

20. عبد الرحيم غالب : **موسوعة العمارة الإسلامية** ، ط1، بيروت لبنان، 1988م.

21. عبد الكريم عزوق، **القباب والمآذن في العمارة الإسلامية**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1996

22. عبد الله علام، **الدولة الموحدية في المغرب في عهد المؤمن بن علي**، القاهرة، 1971،

23. عبد المنعم ماجد، **تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى**، ط7، المكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، 1996،

24. عمر بن محمد زعابة، **الحفظ الوقائي للمواقع الأثرية بغرداية**، مذكرة لنيل شهادة الماستر، جامعة ابي بكر بلقايد، تلمسان، 2012.
25. عمر بن محمد زعابة، **آليات و طرق حفظ و تسيير التراث المبني في وادي مزاب**، اطروحة دكتوراه، تخصص حفظ و تسيير التراث الأثري، جامعة تلمسان، سنة 2016/2015،
26. فريد شافعي : **العمارة العربية في مصر الإسلامية** – الجزء الأول – الهيئة المصرية العامة للكتاب 1994
27. فريد شافعي، **العمارة العربية الإسلامية ماضيها وحاضرها ومستقبلها** ،الرياض، 1982 ،
28. قصي الحسين، **موسوعة الحضارة العربية، العصر الفاطمي والأيوبي**، دار ومكتبة الهلال للكتاب، بيروت، 2005
29. محمد بن عبد الله الزركشي، **أعلام المساجد بأحكام المساجد**، تحقيق أبو الوفاء مصطفى المراغي، ط2 دار الكتاب المصري القاهرة،1989
30. محمّد جودي، **المسكن الإسلامي في القصور الصحراوية في الجزائر "دراسة تحليلية مقارنة لقصور ميزاب وورقلة"**، أطروحة الدكتوراه علوم، تخصص علم الآثار والمحيط، جامعة تلمسان، 2013-2014م.
31. محمد جودي، **واجهات مساكن قصور سهل وادي مزاب**، مذكرة لنيل شهادة الماجسيتر في علم الآثار والمحيط، جامعة تلمسان، 2006-2007،
32. محمد حمزة إسماعيل الحداد، **موسوعة العمارة الاسلامية في مصر من الفتح العثماني حتى عهد محمد علي**، ج 1، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 1998،
33. محمد طيب عقاب، لمحات **عن العمارة والفنون الإسلامية في الجزائر**، ديوان المطبوعات الجامعية، 1990
34. محمد عبد العزيز مرزوق: **الفنون الزخرفية الإسلامية في مصر قبل الفاطميين**
35. محمد نسيب، **زوايا العلم والقرآن**، دار الفكر، الجزائر، د س،

36. محي الدين أبي يحيى بن شرف النووي، **صحيح مسلم بشرح النووي**، مكتبة الإيمان، القاهرة، د س، ج2،

مذكرات وأطروحات:

معاجم وموسوعات

37. يحيى بوراس، **العمارة الدفاعية في منطقة وادي ميزاب (نموذج قصر بن يزقن من القرن 10هـ 16م إلى القرن 13هـ 19م)**، دراسة وصفية تحليلية مقارنة، مذكرة شهادة ماجستير في اللآثار الإسلامية، الجزائر، 2001-2002،

38. يوسف بكير الحاج سعيد، **تاريخ بني مزاب**، دراسة اقتصادية وسياسية، المطبعة العربية، غرداية، 2003

مجلات وملتقيات:

39. دليل ديوان حماية وادي ميزاب وترقيتهopvm مشروع القطاع المحمي للسهل وادي ميزاب، غرداية الجزائر،

40. ديوان حماية وادي ميزاب و ترقيته، **سلسلة قصور غرداية**، الجزائر، سنة 1435هـ/2014م،

41. عادل عوض، **المدينة العربية الإسلامية والمدينة الأوروبية**، مجلة العلوم والتكنولوجيا، المعهد العربي للتنمية، ع 27، 1992،

المراجع باللغة الأجنبية:

42. Georges Marçais ;L' Art Musulman,1 Ed,presse Universitair de france paris 1962,

43. Marth et Edmond, Gowion ; khridjisme : Monggraphiedumzab L'uprinerievigie.Maracarin casablanca, paris, 1926

44. MERCIER M ; La civilisatione urbain au M'Zab, Alger 1922,

45. PAVARD Claude : Lumiéres du M'Zab, S. N. E. D. Alger 1973.

ملحق

الأشكال والصور

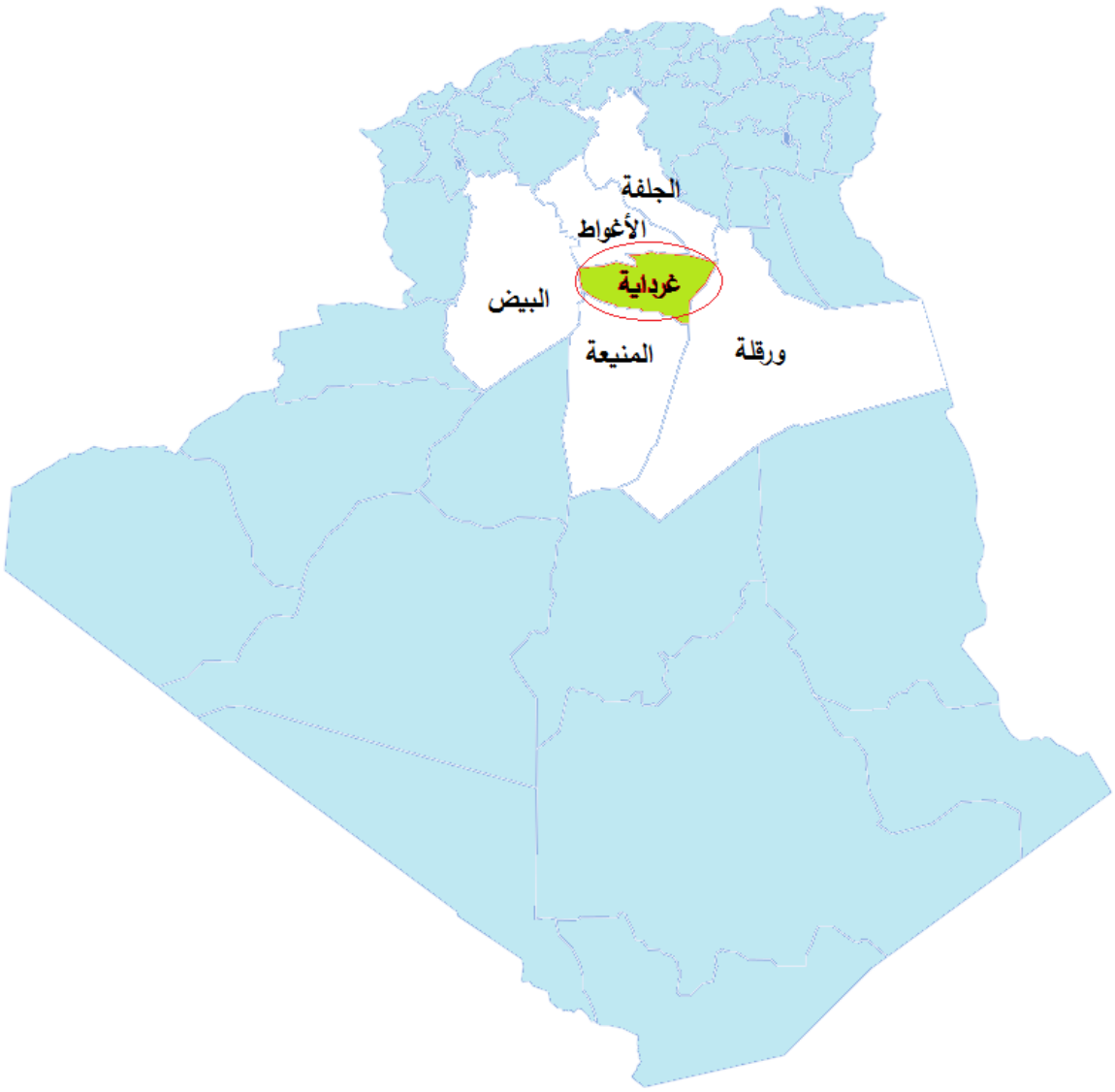

الملحق رقم 1: موقع ولاية غرداية

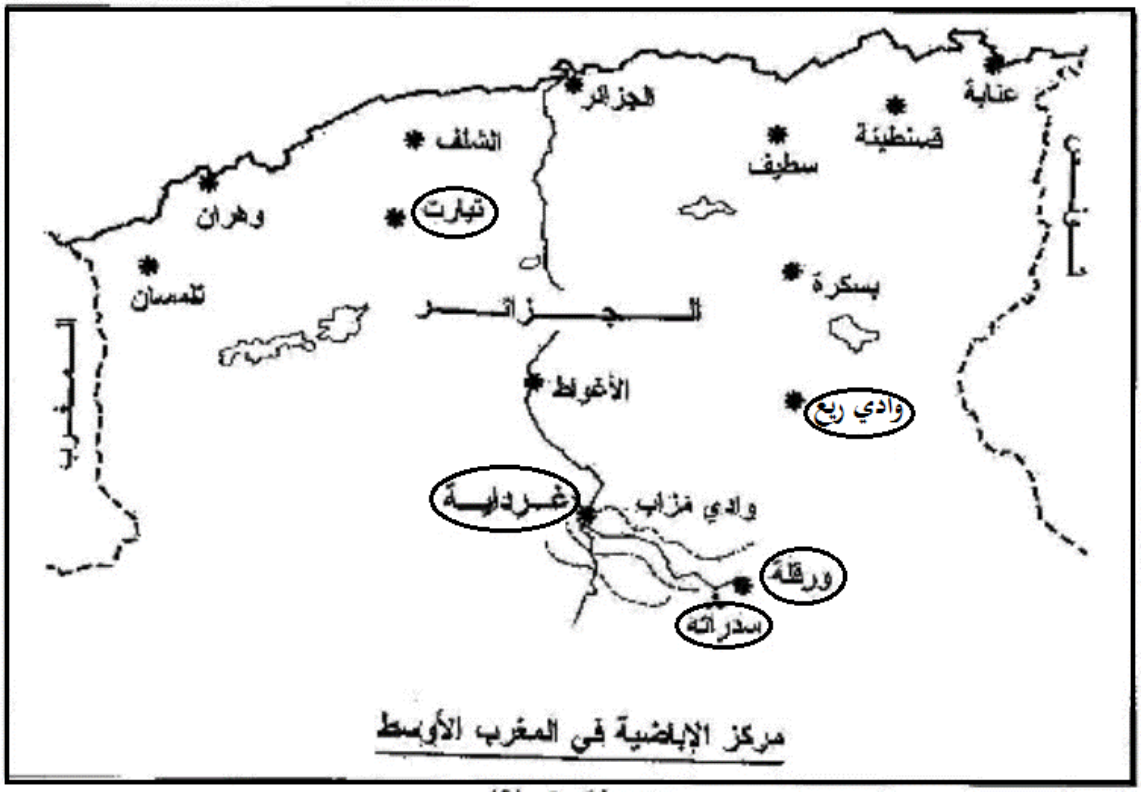

الملحق رقم 2: مراكز الإباضية بالمغربالأوسط

نقلا عن OPVM

الملحق رقم 3: مدينة غرداية من الجو

الملحق رقم 4: جامع غرداية في أعلى القصر

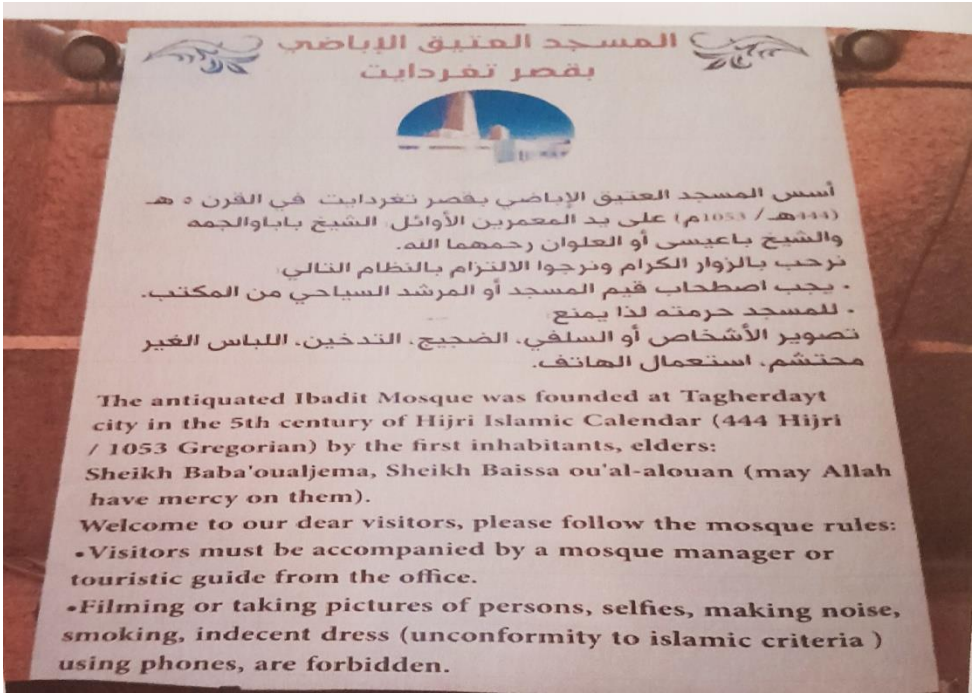

الملحق رقم 5: لوحة إعلامية على واجهة المسجد العتيق غرداية

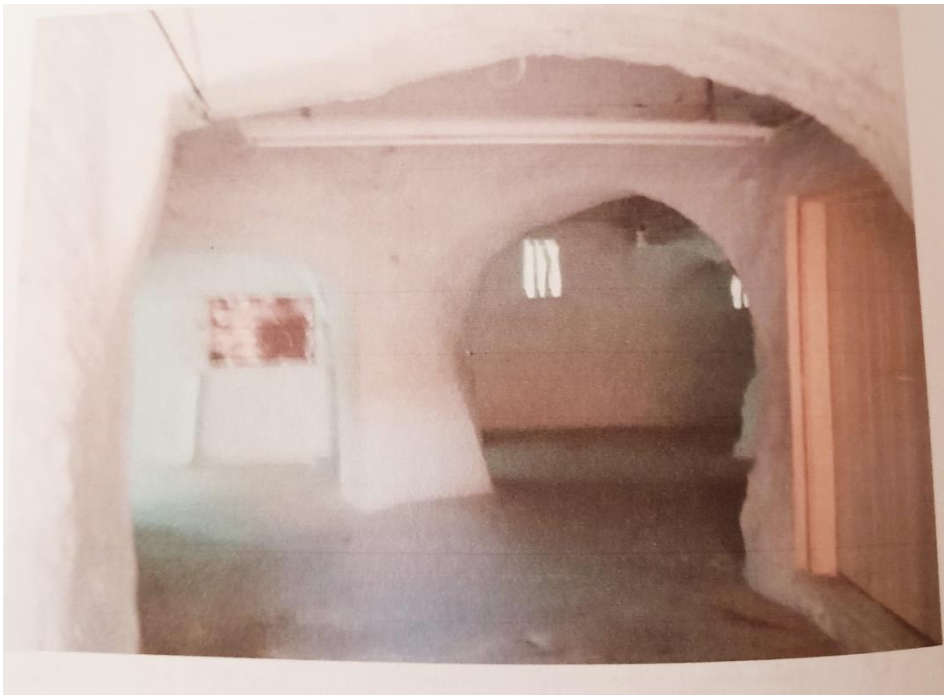

الملحق رقم 6: مدخل المسجد العتيق غرداية

الملحق رقم 7: باب المسجد العتيق غرداية

الملحق رقم 8: مئذنتي المسجد العتيق غرداية نقلا عنOPVM

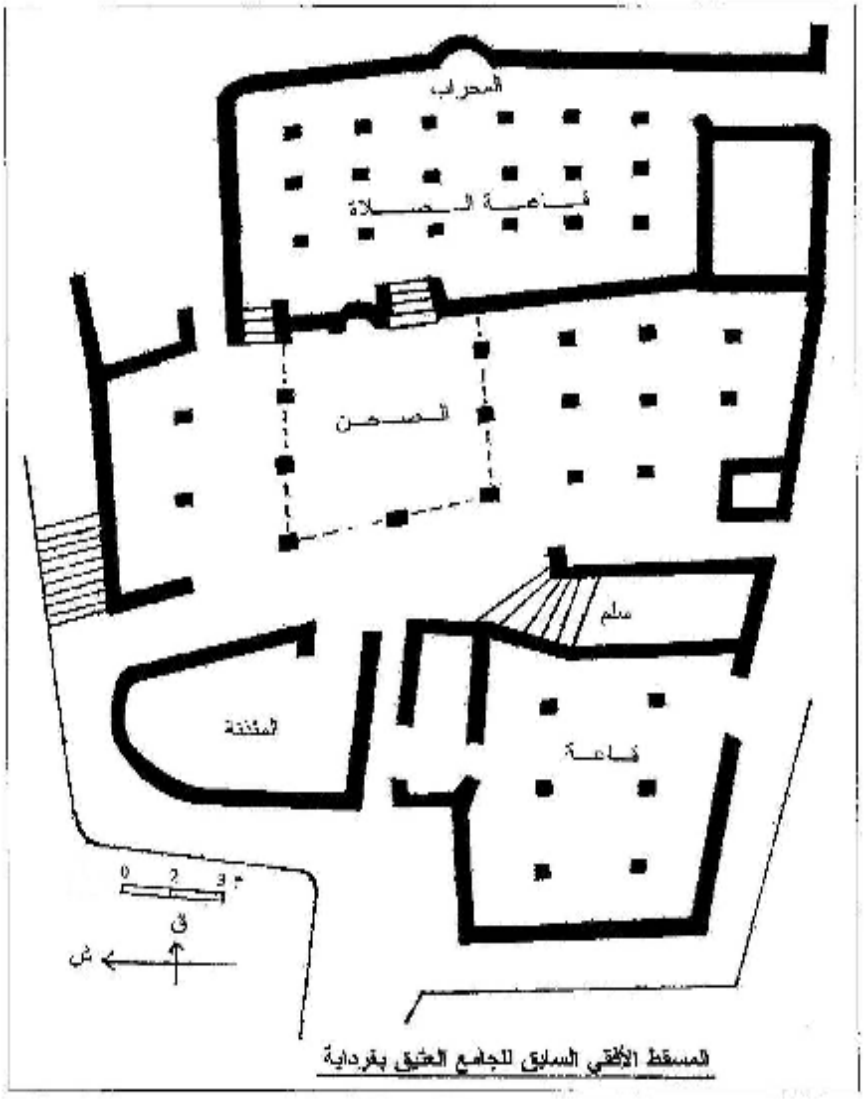

الملحق رقم 9: مخطط المسجد العتيق قبل التوسعة

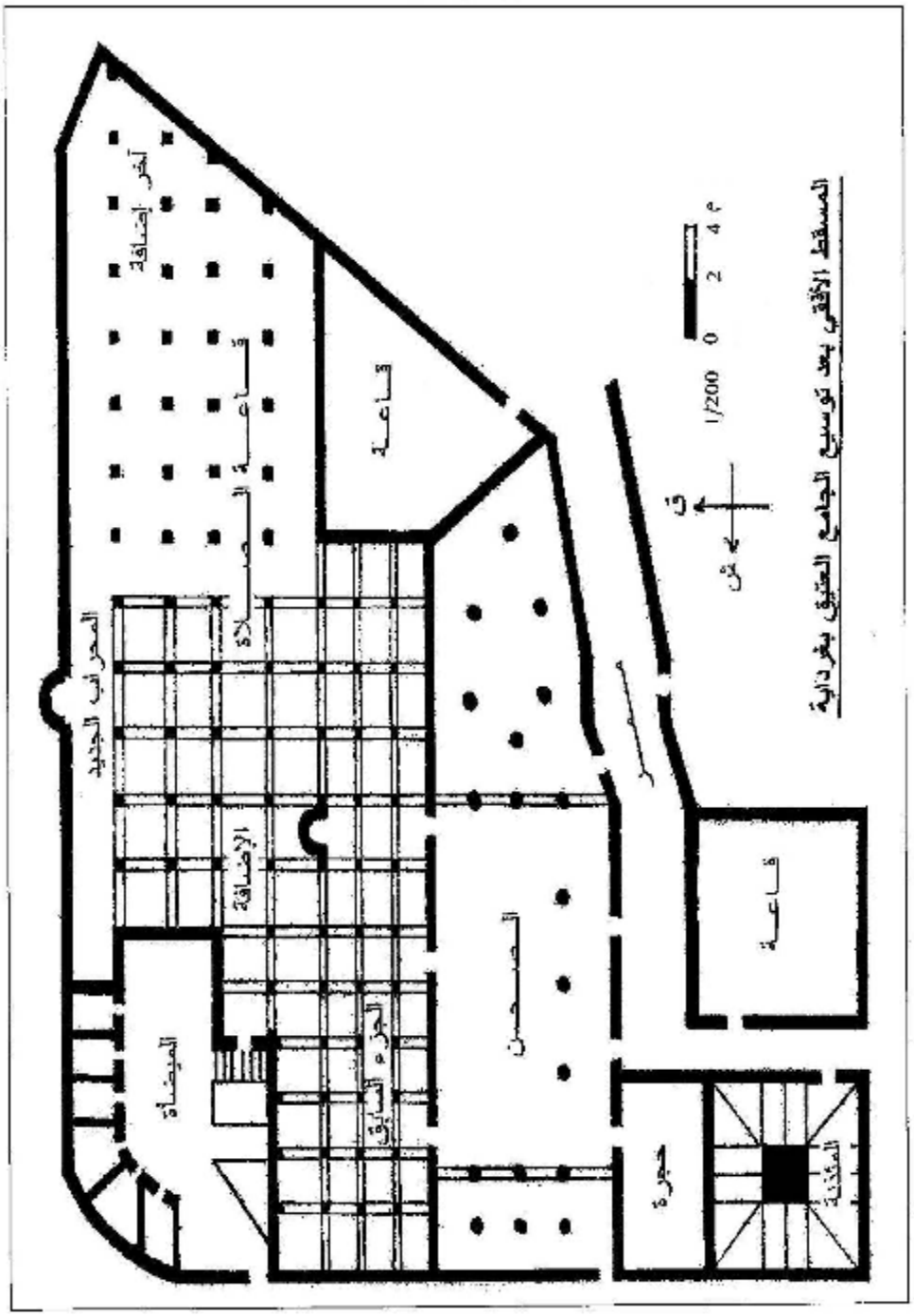

الملحق رقم 10: مخطط المسجد العتيق بعد التوسعة

الملحق رقم 11: مظهر الجامع من الخارج

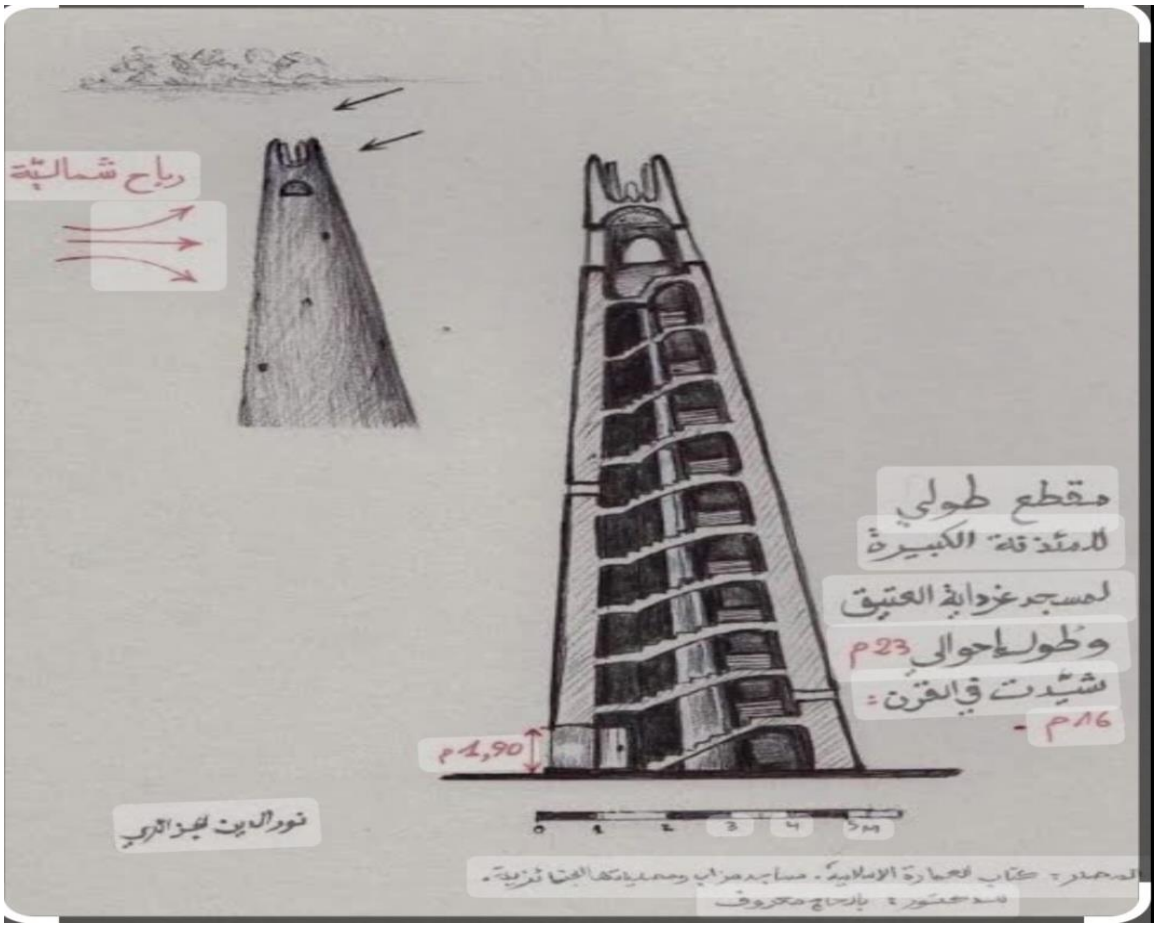

الملحق رقم 12: مقطع طولي للمئذنة الكبيرة بالمسجد العتيق غرداية

الملحق رقم 13:

دعائم الصلاة التي لا تحمل عقودا

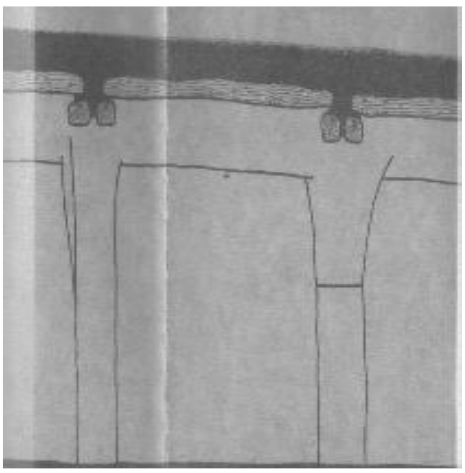

الملحق رقم 14:

دعائم قاعة الصلاة التي تحمل العقود

الملحق رقم 15:

دعائم الصحن بدون قواعد

الملحق رقم 16:

دعائم الصحن بالقواعد

الملحق رقم 17:

عقود قاعة الصلاة

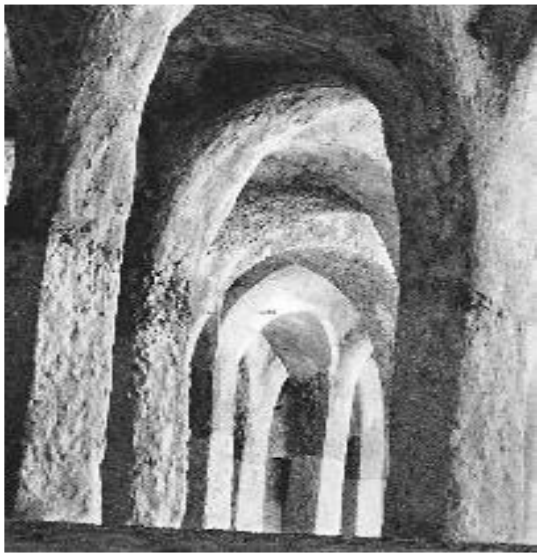

الملحق رقم 18:

بروز الأكتاف على الدعائم

الملحق رقم 19:

سقف قاعة الصلاة الخشبي

الملحق رقم 20:

عقود الصحن

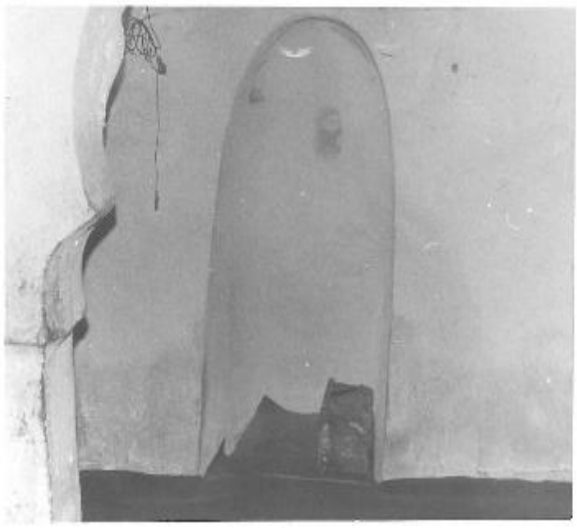

الملحق رقم 21: المحراب السابق

الملحق رقم 22: المحراب الجديد

الملحق رقم 23: أعلى المئذنة

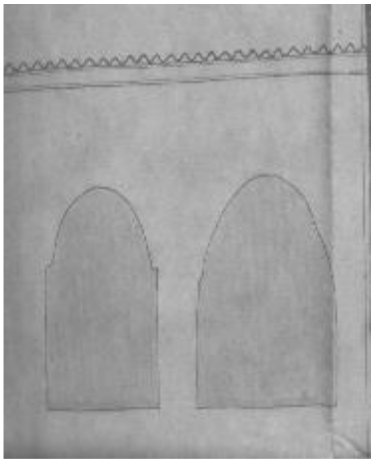

الملحق رقم 24: حائط الجامع من الخارج

فهرس المحتويات

قائمة المحتويات	
شكـر وتقديـر	
إهداء	
مقدمة	أ–و
الفصل التهيدي: الإطار الجغرافي والتاريخي لواد ميزاب	
1–الموقع:	11
2.الإطار الجغرافي لوادي ميزاب	12
1.2. الدراسة الطبيعية لمنطقة وادي ميزاب	12
2.2. الموقع الجغرافي والفلكي	12
3.2. جيولوجية المنطقة	13
4.2. المناخ	14
3.المدخل التاريخي	16
1.3.مدلول كلمة ميزاب	16
2.3. أصل بنو مزاب	17
4. التطور الحضاري والعمراني لمنطقة وادي ميزاب	18
1.4. مرحلة ما قبل التاريخ	18
2.4. المرحلة الأولى: ما قبل الإباضية	19
3.4. المرحلة الثانية: فترة الإباضية	19
4.4. المرحلة الثالثة: من 1003م إلى 1853م.	20
5.4. المرحلة الرابعة من 1853م إلى 1962م.	21
6.4.المرحلة الخامسة: من الاستقلال إلى يومنا هذا.	21
الفصل الأول: العمارة الدينية وعناصرها المعمارية	
1–نشأة الفن الإسلامي	23
2– عوامل تشكل العمارة الإسلامية:	24
1.2. العامل البيئي	25
2.2.العامل الديني	25
3.أنواع العمارة الدينية	25
1.3. المساجد	26
2.3. المدارس	27
3.3. الأربطة	29
4.3. الخانقوات	30
5.3. الزوايا	31
6.3. الأضرحة	33
4– عناصر ومكونات العمارة المسجدية	34

الفصل الثاني: الدراسة الميدانية	
1.المسجد العتيق بغرداية	55
2.1.موقع المسجد	55
3.1.التخطيط العام	56
4.1 مراحل توسعة المسجد العتيق	58
2. النمط المعماري للمسجد العتيق	60
3.الدراسة التحليلية الميدانية المسجد العتيق	64
1.3.بالنسبة للتصميم الخارجي	64
2.3.بالنسبة للتصميم الداخلي	65
خاتمة	69
قائمة المصادر والمراجع	73
قائمة الملاحق	78
ملخص الدراسة	

ملخص الدراسة:

تضمن البحث تعريف العمارة الدينية الإسلامية أنواعها وعناصرها المعمارية، ووضعيتها في منطقة واد ميزاب ثم دراسة المساجد الأثرية بالمنطقة واخترنا قصر غرداية (تغرادايت) كنموذج والمسجد العتيق (الجامع الكبير)، وركزت الدراسة على الناحية التاريخية، وطرازهما المعمارية والفنية، ومواقع العناصر الأساسية لعمارتهما (التخطيط،بيت الصلاة، المحراب، المئذنة) مع تخصيص دراسة من حيث شكل وأصل وتقنيات ومواد البناء مدعمة بـ: تخطيطات عامة وأشكال هندسية ورسومات وصور فوتوغرافية.

الكلمات الدالة:

العمارة الدينية – قصر وادي مزاب– المسجد العتيق

Study summary :

The research included a definition of Islamic religious architecture, its types and architectural elements, and its status in the Oued M'Zab region, then a study of the ancient mosques in the region. We chose the Palace of Ghardaia (Tagradite) as a model and the ancient mosque (the Great Mosque). The study focused on the historical aspect, their architectural and artistic style, and the locations of the basic elements of their architecture (planning). ,, prayer house, mihrab, minaret) with a dedicated study in terms of form, origin, construction techniques and materials supported by: general layouts, geometric shapes, drawings and photographs

Key words:

Religious architecture – Mzab Valley Palace – Old Mosque